شمس في سماء العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

شمس في سماء العراق

سيرة أدبية مختصرة لحياة الشهيد
القائد (أبو مهدي المهندس)

مجاهد منعثر منشد الخفاجي

ثبات

٢٣٩/٥

خ ٢٩٦ الخفاجي، مجاهد منعثر منشد

شمس في سماء العراق، مجاهد منعثر منشد

ط ١ – النّجف: دار ثبات، ٢٠٢٤

١٦٤ص؛ ٢٤ سم

١– أبو مهدي المهندس. أ– العنوان

المكتبة الوطنية/ الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ( ) لسنة (٢٠٢٤)

الرقم الدولي (ISBN) 978-9922-734-12-5

دار ثبات للطّباعة والنّشر

والتّوزيع

النّجف الأشرف

الطّبعة الأولى

١٤٤٥هـ–٢٠٢٤م

دار ثبات

إصدار (٥)

شمس في سماء العراق

جميع الحقوق محفوظة للناشر

00964-7809433970

thabatbook@gmail.com

الإهداء:

أَيُّها القائدُ.. يا فارسَ العراق..

أَخالُكَ تزورُ مُحبّيكَ..

تُعرِّجُ على سُلَّمٍ شَيَّدهُ إلهُ السَّماء.

نأنسُ على صوتكَ وشيبتِكَ قبلَ صلاةِ الفجر..

نناشدكَ..

إليكَ.. وحدكَ هذه الحروف..

علَّكَ تشفعُ لي في موعدِ اللقاء..

ومناي ومرتجاي هنا تنقلني بها إلى شهيدٍ آخر..

المقدمة:

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

هذه سيرة مَنْ اقتفى آثار الأَئمة عليهم السلام مقتدياً بخطاهم، يسمع حديث وكلائهم من العلماء الأَعلام.

لبَّى صوت استغاثة الوطن يوم استغاث الوطن.. واكب رايات الجهاد يسير قدماً، ويدعو إلى اللقاء والإقدام بروح مجاهد مغامر تدفعه للإقدام عزيمة الليث من أجل إدراك الغاية حتى نالها بشرف وعزَّة.

إنَّهُ سِفر.. وليس كتاباً عن الشهيد القائد الحاج أَبي مهدي المهندس، ذلك القطب والركن من أَركان المجد، وعلم من أَعلام الوطنية والجهاد، الذي رحل ميمون النقية، نقي العرض طاهر الأزرار، عفيف الجيب، كريم الشمائل، فجاهد وكافح حتى لقي الله محتسباً ما عنده وما أعدّه من خير للمؤمنين الصالحين، واستأثرت به يد العناية، فوفد على ربه شهيداً، بهي النفس، رافع الرأس، وبين يديه كتاب حسناته، وسجل تاريخه يزهو في جنات الخلد بين روح وريحان، وتلك عقبى المتقين وجزاء المجاهدين الراغبين في مرضاته، المشتاقين إلى برد المقيل عند ظلّه المقيم.

إنَّ هذه السيرة العطرة مختصر مسيرته المضيئة برضا الله سبحانه

تعالى من ولادته حتى شهادته.

وأؤكّد على لفظ أنَّه (سِفر) مختصر!

تعمد المؤلف في هذا السّفر اختصار التفاصيل ليفتح أفق البحث من ناحية علمية عن دراسة هذه الشخصية التي تحتاج إلى توسعة دقيقة في جميع أدوارها من طفولته إلى شبابه في داخل العراق، ثم تخرّجه وما بعد تعيينه وخروجه خارج البلاد إلى الكويت ثم الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وسيرته الجهادية في إيران، وعودته إلى العراق ودوره السياسي، ثم جهاده ضد العدو المحتل واستجابته الفورية لنداء فتوى الجهاد الكفائي وتنظيمه وتدريبه وإعداده هيكلية الحشد الشعبي على وفق الفتوى العظيمة، فكلّ موضوع يحتاج إلى رسالة أو بحث أكاديمي.

قسَّمنا سِفرنا إلى ستة فصول، تضمَّن الفصل الأول الولادة والنشأة ومراحلها حتى البلوغ والنضوج وما بينها من تدين ودراسة علمية ودينية، وتسليط الضوء على الأحداث داخل البلاد، وما آلت إليه نتائجها على جهاده ومغادرته بلده، ثم اقترانه بشريكة حياته واستمراره في عمله الجهادي وتوضيح أسباب انتقاله من الكويت إلى إيران، وعودته إلى العراق ومواجهة الاحتلال كمقاوم وسياسي.

يأتي بعد ذلك الفصل الثاني الذي ضم عناوين عدّة تتحدث عن التصدي لداعش من خلال فتوى الجهاد الكفائي، وتحدّثنا عن دوره في سوح الوغى من خلال بعض المعارك، وليست جميعها مع الإشارة إلى

النتائج التي تحققت بقيادته للحشد الشعبي.

أما الفصل الثالث فهو بعنوان (مواقف وحكايات) وهو فصل انطباعي عن دماثة أَخلاقه أو تواضعه والتزامهم بمواعيد الصلاة، وتعرضه لمواقف خطيرة كالأَسر وثباته في أَقوى مراحل الخطر.

وجاء الفصل الرابع ليتناول رسائله وكلماته وأقواله ووصيته ودعوته لولاية الفقيه.

وأَفردنا الفصل الخامس لأحداث شهادته المباركة مع عرض أَسباب استهدافه من قبل العدو.

وتحدَّث الفصل السادس عن نماذج من محبَّة الناس للشهيد القائد من خلال سرد الحكايات الواقعية.

وينتهي هذا السِّفر الصغير بأَربعة ملاحق خاصة بالشهيد الحاج أَبي مهدي المهندس.

وأَخيراً أَسأل الله سبحانه وتعالى قبول هذا العمل المتواضع، وأَن يكون نافعاً للباحثين ومحبي هذا القائد المؤمن الشجاع، وأَرفع كفي بالدعاء لحضرته وجميع الشهداء أن يظلّهم المولى جلَّ وعلا بغمام الرحمة، ويمطر عليهم سحائب الرضوان ويلحقهم بمحمد وآل محمَّد ويجعلهم شفعاءَ لذويهم ومحبِّيهم ولنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أَتى الله بقلب سليم، إنَّه سميع مجيب وبالإجابة جدير.

والله من وراء القصد.

المؤلف

٦/حزيران/٢٠٢٤م

هكذا عَرفتُه

عرفتُ الشَّهيدَ ولم أَلتقه في الدنيا، رأيتُهُ بعد الشَّهادة خمسَ مرات!

سمعتُ به مجاهداً، مُخلصاً، نَزيهاً، شجاعاً، مقاوماً شرساً، يجاهدُ بإيمان ومعرفة علميَّة.

حَرَّكَ صديقٌ لي شفتيه بحكاية عنه أَثناءَ خروجه إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد وضعه في قائمة الإرهاب من الشيطان الأكبر عام ٢٠٠٦ وانسحابه من منصبه عضواً في مجلس النواب العراقيّ بسبب تهديد العدو المحتل للدولة وطلبها اعتقاله.

كان يقتحم البصرة كضياء القمر في سواد الليل، بعد العام المذكور، يلتمع أَمام أنظار القوات المحتلة مرتدياً ملابس صيادي الأسماك، ويلتقي المجاميع المقاومة بكل حرية.

تأملتُ الحكاية مليّاً، عادَ شريط ذكرياتي لما قرأت في بعض الكتب الجهادية ما ملخّصه: «عند سيطرة المجاهد على النفس بإيمان مطلق يتقدّم المقاوم وبدون تردّد في تكليفه، ولا يخشى إلا الله سبحانه وتعالى»، تلك اللحظة شعرتُ بأنَّ هذا الرجل في رحلة من ميناء الذات إلى اللقاء الإلهي.

غادرتُ صديقي إلى منزل أَخوال أَبنائي في البصرة، توضّأتُ.. صلَّيتُ ركعتين لوجه الله تعالى.. تلوتُ ما تيسَّر من القرآن الكريم، غلقتُ

المصحف.

بعد هنيئة..

قررت أَن أستخير الله عن الشهيد فتحت الكتاب الكريم لا على التعيين.. أَبصرت الآية: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الاخرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

تيقّنتُ أَنَّه يفرُّ من (دائرة الهوى) إلى (جاذبية الهدى).

غمرتني سعادةٌ، سالت قطراتُ دمع من عيني كقطرات الندى، حدَّثتُ نفسي: أنا الغارق بالذنوب والمعاصي الشَّغوفُ بحطام الدنيا أَشكّ في هكذا إنسان يسيطر على ذاته ويهذب نفسه ليرضي ربه؟

ثلاث سنوات مضت، راقبتُ أَعماله العلنية وردود أَفعال العدو المحتل عنه.

مضت الأَيام والليالي.. وسؤالٌ يدور في مخيلتي كيف أَنصر هذا الرجل، وأنا عاجز لا أستطيع نصرته!

نعم.. لست مجاهداً ليس مسؤولاً أو صاحب قرار، لا أَملكُ غيرَ ما تجود به أناملي من كلمات متواضعة.

اخترتُ كتابة مقالٍ (ادوزنه) على أَوتار شجاعته المسحوبة من بئر كتمانه العميق، لعله آتٍ بجديد.

كتبتُه قبل شهادته بثلاثة سنوات بتاريخ ١/نوفمبر/٢٠١٧م بعنوان: (هل اقتربت شهادة أَبو مهدي المهندس؟)، ونشرته حينها بعض

الوكالات العراقية كوكالة نون الخبرية، وكالة أَرض آشور الإخبارية، صوت العراق، كتابات في الميزان، وغيرها؛ وهو لا يزال في محرك بحث الشبكة العنكبوتية.

لكن ما سطرتُ وما جاء من تهديد لم يغيّر شيئاً، فسفارة العدو تعمل بحرية في بغداد.

بعد ثلاثة سنوات مما كتبت، صار ضوءاً تشظَّى وعطراً تشذَّى، وقطراً فوق الورد تندَّى، استشهد فارس العراق ورفيقه الحاج قاسم سليماني وأصحابهم بصاروخ طائرة مسيرة بكبسة زرٍّ من كمبيوتر العدو، وكانت شهادتهما بالطريقة نفسها التي استهدفت الشهيد السيد عباس الموسوي في جنوب لبنان، والشهيد الشيخ أحمد ياسين في فلسطين، والشهيد الحاج عماد مغنية في جنوب لبنان.

توهَّج حزني، سقط دمعي سخيناً، أصابتني دهشةٌ وصدمةٌ، خسره المسلمون والوطن فارساً مؤمناً وطنيّاً نزيهاً حتى مع خصومه، خسارة إنسان متكامل بكل معنى الإنسانية.

التقيته بعد برهة من شهادته خمس مرات، وتؤأم روحه مرة واحدة، هما بنور بهي وشيبتهما ناصعة، يرتديان ملابس الجهاد.

الرؤيا الأولى (بعد أسبوع من الشهادة):

كأنّي نائم في فراشي على الأَرض، جلس عند قدمي، وضع يده اليمنى، وهزَّ القدمَ اليمنى قائلاً: هيا انهض!

استيقظتُ قبل صلاة الفجر بقليل.

الرؤيا الثانية:

جاءني بهيأته ووقفنا بمكان كأَنَّه جبهة قتالٍ، حدَّثني.. لكن لا أَتذكر ما قاله!

الرؤيا الثالثة:

كنتُ أرتدي الزي الجهادي، أَحملُ رشاشة كلاشنكوف أَيضاً بالمكان نفسه، وفي الأرض حفرةٌ فيها سُلَّم للصعود.

كانت مهمتي حماية النساء المسنات اللواتي يرتدين ملابس وعباءة سوداء وإخراجهن من الحفرة إلى سطح الأرض، كانت والدتي بينهن.

كلّمت نفسي: سأكون خلفهن في الصعود، ربما تسقط إحداهن من السلم.

خرجنَ بسلام، أَمامنا جسر تقابله بنايةٌ شاهقةٌ، سرتُ بهن إلى نقطة واجبي تحت الجسر، جاء المهندس وهمس بأذن اليمنى: ليذهبن باتجاه الجسر من اليمين، وسار في طريقه!

أَوصلتهن إلى الطريق، عدتُ للنقطة وحذَّرتُ المجاهدين قائلاً: أَعلى البناية قناص من داعش.

استيقظت من النوم قبل صلاة الصبح..

مضت ثلاث سنوات على شهادته، بين الحين والآخر تخترق

ذهني فكرة يتوجب عليّ كتابة بحث.. مجموعة قصصية.. رواية.. حكاية.. أو سيرة عن الشهيد القائد.

كلّما حملتني عاصفة الحنين إليه أو حان موعد مناسبة ذكرى شهادته شعرتُ بخيبة أَملٍ وتقصيرٍ تجاهه. لم أكتب شيئاً، هل يكفي أن أهديه ركعتين كل يوم قبل الزوال؟

انتفضتُ.. فككتُ قيودَ الكسل..

الرؤيا الرابعة:

قبل بزوغ الشمس، قطعة جميلة يحيطها تراب أو طين بنيّ غامق كأَنَّه تلٌّ صغيرٌ، معي عشراتُ الرجال من المؤمنين، كنَّا نحمل ورقاً ونكتبُ أَسماء الشهداء.. كتبت اسمه.

استيقظت من نوم الظهيرة.

الرؤيا الخامسة:

في شهر ١٢ سنة ٢٠٢٣م بعد يومين من الرؤيا الرابعة كنتُ معه ذهبنا لرياض أَطفال أو دور أَيتام، استقبله الصغار وهم يلعبونَ الألعاب السويدية مرحبين به، أولاد لوحدهم، بينهم صَبيَّةٌ بعمر خمس سنوات، جلس الحاج أَمامها ووضع كفَّه على شعرها البُنّيِّ المُصفَرّ، أَخذَ يمسحُ بأَصابعه على رأسها!

حدّثتُ نفسي وبصري لوجهه النَّوراني وشيبته الناصعة بالبياض، كأَنَّها لون القمر، حدقتُ في عينيه من خلف نظارته الطبيَّة، كأَنَّه يريد

البكاءَ على الصَّبيَّة!

قلتُ: كيف يفعلُ هذا الحاج، ربَّما تنقل الزيارة في التلفاز، فتؤوَّل بغير معنى.

عدتُ أجيبُ عن تساؤلي... أَنَّها يتيمةٌ ولا يشعرُ بحرقة أَلم الفراقِ إلا مَن فقدَ أَباه، والحاج معه الله تعالى.

استيقظت قبل صلاة الفجر بقليل.

الفصل الأول

ولادته:

منذ إشراقته كشمسٍ سطعتْ من عتمة طاهرة، يستنشق نسمات الجنان قبل طلوع الشمس. وُلِدَ شهيداً بضياء هدى.

غاب بدر ليلة ١٩٥٤/١٠/١٦ في قضاء القرنة. ساعتان بعد صلاة الفجر، كل ساعة منهما كأنَّها ساعة برزخية.

كذلك أُناسُ البصرة برمتها على علم بالساعتين في رواية إسلامية مخصوصة بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

هل سار الوليد جمال جعفر محمد علي آل إبراهيم على نهج الإمام؟

منْ سمَّاه جمالاً، أمّهُ.. أَبوه؟

أَهي رسالةُ والدينِ، إذا غاب البدر عن البصرة، فجمالُ لكل العراق؟

***

صباه:

ترعرع جمال بين أفياء التدين، ونشأ في حضن أسرة مؤمنة، دَخْلُها محدودٌ وبيئةٍ متمسكةٍ بالمبادئ الرصينة.

حدق ببؤبؤ عينيه البنيتين الواسعتين سلوك والديه، يصطحبه أبوه الموظفُ في دائرة مالية البصرة ليالي الجمع وأيامها إلى المسجد، يرنُّ في مسامعه صوت والده وهو يتلو القرآن الكريم وذكرى مصائب أهل البيت عليهم السلام.

اعتصر قلبه ألماً وارتجفت جوارحه لمصاب السبط الشهيد وسبايا حرائر النبوة، كأنَّ لسان حاله يقول: يا ليتني أقطّع يا سيّدي من أَجلكم أشلاء!

يعود إلى المنزل يبصر والدته تعد مجلس عزاء شهيد كربلاء، تنهض وتجلس وهي تذكر الله ونبيه وأهل البيت.

لعله سمع من والديه أو الخطباء في صباه قول الإمام الحسين عليه السلام: «أما بعد فقد علمتم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته: من رأى سلطانا جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسُنَّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثمَّ لم يغير بقول ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله وقد علمتم أنَّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتولَّوا عن طاعة الرحمن، وأَظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرَّموا حلاله، وإنّي أحقُّ بهذا الأمر لقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله».

عَبَدَ اللهَ صغيراً، صلَّى وشارك أسرته السحور، سمح له والداه بأَداء فريضة الصيام بسن عشر سنوات، وكان حريصاً أن لا يفوته الصوم من

كل عام.

أحاطه الأبوان بالهالة النورانية كوّةً تنبعث منها معاني العشق والجهاد والإيثار، أسَّسا حياته الدينية والفكرية والاجتماعية على طينة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

تسلّح بالعلم والمعرفة، فكانت بداية تحصيله الدراسي في مدرسة عاصم بن دلف الابتدائية عام ١٩٦٠م.

يسحر من حوله بأخلاقه الرفيعة، حاذقٌ، يثيرُ الولاءَ والحماسةَ بمن يعرفه مذ طفولته.

في سنة ١٩٦٤ أحيل والده على التقاعد وهو بالرابع الابتدائي، فسافر إلى الكويت بحثاً عن عمل يعيل أسرته.

***

فتى:

شريط ذكرياته يستعرض ما استقبلته أُذناهُ الواعيتانِ من خطباء المنبر الحسيني في المسجد، كل يوم يزداد عشقاً للحسين وثورته، يسأل كيف صمد أصحاب السبط حتى نالوا الشهادة؟

دخل مدرسة متوسطة التقدم في القرنة، واجتاز مراحلها الثلاث بتفوق، أظنه طرح السؤال ذاته على أحد المدرسين، ثم طرحه على أحد خطباء المنبر، فكانت الإجابة الثبات على المبدأ.

دفعه شغفه بشهيد كربلاء لمعرفة كيفية هذا الثبات!

عزم على دخول الدراسات الحوزوية في مدرسة المرجع السيد محسن الحكيم قُدِّسَ سِرُّهُ، فضلاً عن دراسته المدرسية، وشدَّ عزمه في العطلة الصيفية لمطالعة الكتب الأخلاقية لبلوغ ماء المعاني، علّه يرتوي من سلسبيلها.

تيقَّن حينها ميدان المعركة الأولى داخل الإنسان بينه وبين عدوه، إذا خسرها ينهارُ ثباتُهُ على المبدأ، ولا ينال درجة الشهادة.

شغلته قليلاً رواية بين ثنايا صفحات الكتب، عن أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله بعث سرية أسامة، فلما رجعوا قال: مرحباً بقومٍ قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس.

اتّخذ على نفسه عهداً بتهذيب النفس ومحاربة الوسواس في صدره حتى يصل إلى مقام الخلوص لله سبحانه وتعالى.

***

شاباً يافعاً:

تسابقت السنوات واشتدَّ عودُهُ وازداد اخضراراً وصلابة ليشد الرحال نهاية الستينات مع أسرته إلى مدينة البصرة.

سكنوا منزل أَخيه الأكبر أبي فراس الموظف في موانئ البصرة، كانت دور الموانئ صغيرة لا تسع أسرة كبيرة، استأجر جمال منزلاً في منطقة الخليلية وسكنها مع والدته وشقيقاته.

كان يحترم أَخاه الأكبر ويعدّه بمثابة والده المسافر، يستشيره، ويزوره كل ليلة جمعة ويمكث عنده حتى الصباح.

واصل دراسته الإعدادية في ثانوية المعقل، وتخرَّج فيها صيف عام ١٩٧٢م، كما استمرت دراسته لمقدمات الحوزة العلمية في مدرسة المرجع السيد محسن الحكيم في البصرة.

ذات ليلة شنّ جو بلدته على جسده حرباً باردةً بكل ما يحمل البرد من صقيع، مضى يستريح على فراشه، تلحَّف بلحافه، وشدَّه حوله بيديه المرتجفتين، أثقل الوسن الخفيف جفنيه، تناهى إليه صوت ما تحدّث به خطيب جامع الفقير بالمنطقة ليلة الجمعة هذه (رحلة الحسين وآله من المدينة لكربلاء)، التمعت أمام أفكاره ملامح العناء والمشقة، تمتم مع نفسه: «ستة شهور.. بدأ المسير في الصحاري ببرد قارس، وانتهى بالشهادة تحت لهيب الشمس الحارقة».

انقلب كيانه كالجمر في النار الموقدة، تحت لحافه خبَّأ دمعته ناسياً صقيع البرد.

عاهد الإمام مخاطباً ذاته: سأسيرُ على دربك ما حييت!!

يا سيدي يا حبيبي يا رجائي، لا أعبر دونك هذه الدروب.

***

علم وطموح:

يحب العلم ويحثُّ أقرباءه وأصدقاءه على تعلمه، يساعدهم في

قراءة الدروس حتى قال لابن عمه: لِمَ لا تقرأ دروسك، أتريد أن تصرف جهدك لتصبح عامل بناء؟

منذ شبابه كان مكمن طموحه الدراسي أن يكون مهندساً.

ارتدى قميصه الأبيض والبنطلون الرصاصي، ودّع أسرته في الساعة السابعة مساءً من نهاية صيف عام ١٩٧٣ حاملاً حقيبته، وفوق ملابسه وثيقة التخرج من الإعدادية، ركب باص العشار، بعد ربع الساعة نزل عند المحطة.

قطع تذكرة إلى بغداد، أمسك مقعده، اهتزت القطارة بداية صدى المسير، اشتدَّ صوت القطار، شاهد ازدحام الناس وتوديعهم المسافرين.

بعد نصف ساعة لم يرَ سوى صحراء ملتحفة بسواد الليل، أسدل أجفانه، ولمحت بصيرته بعض الذكريات (براءة الطفولة صيام شهر رمضان، المجالس الحسينية، صلاته في المساجد، لقاءاته مع الدعاة في حزب الدعوة الإسلاميّة تحت ظل نخل البصرة، مناجاته لله في طلب الشهادة على نهج الإمام الحسين).

تمتم: هل استجاب ربي دعائي؟

سمع صوت طفل يبكي، نظر لوالد الطفل وسأله: هل تحتاجون شيئاً؟

ردَّ الرجل: قليلاً من الماء.

فتح كيساً بجوار حقيبته وناوله إناءً صغيراً مغلقاً ممتلئاً بالماء، وقال

له: هذا الإناء والماء لكم.

اتَّكأ برأسه على المقعد يذكر الله ويسبح بحمده ويصلي على نبيه، حتى أغمض عينيه، تذكر عطش رضيع الحسين مشقة وعناء سفر آل شهيد كربلاء، قارن سفر الإمام وسفره قائلاً مع نفسه: المسافة بيني وبين الجامعة التكنولوجية في بغداد ٥٠٠ كيلومتر، وإمامي عليه السلام سار آلاف الكيلومترات من أجل إعلاء كلمة الله، أستريح في رحلتي على مقعد لوحدي، وسيدي أبو عبد الله وآله يركبون الرواحل بلا جدار يحميهم من صقيع برد الصحاري.. مولاي المرمل على عرصات كربلاء يحمل العلم كله والجهاد، وأنا سأتعلم الهندسة المعمارية ويتوجب عليّ الجهاد.

سأل نفسه: هل أنا سائر على نهج قائد ثورة عاشوراء..

عاد يدعو ربّه: إلهي افتح لي باباً من أبواب الجهاد بحق الشهيد صاحب الشيب الخضيب والخدين التريبين، إنك سميع مجيب.

فتح عينيه على شمس بغداد، خرق أذنيه تكرار جرس تنبيه القطار، همد صوته شيئاً فشيئاً حتى توقف.

نهض بقلب ملؤه أمل، واثقاً كالقطار الذي شقَّ طريقاً لنفسه يحثُّ الخطى وإن توقف في المحطة تلو المحطة.

عند أول موطئ لقدمه على باب الجامعة، راعى وبشدة نزعات النفس وعواطفها وغرائزها، هذَّب نفسه كما تعلم من كتب الأخلاق.

كان خلوقاً، وأحبه الجميع في الجامعة، لم يزغ عن حدود الله،

كان سكوته ذكراً لله، نظرته عبرة، نطقه حكمة.

قرر مواصلة دروسه الحوزوية ونشاطه السياسي في النجف الأشرف منذ السنة الأولى من المرحلة الجامعية.

تحنَّن الله عليه بالألطاف الإلهية الجميلة؛ ليأخذ بيده المرجع السيد محمد باقر الصدر إلى التكامل والتسامي؛ فمذ كان بعمر ستة عشر عاماً انضمَّ إلى حزب الدعوة الإسلاميّة في البصرة، وسمع منهم عن تبني مرجعية السيد الصدر للثورة والتصدي للطغاة والظلمة والحكم الدكتاتوري الاستبدادي.

حضر دروسه على مدار خمس سنوات، نهل من علمه وسلوكه ما ألقى بأثره على وجدانه، استقى من مواعظه عبر الجهاد؛ كما الأرض العطشى للماء الزلال، وانفرجت عتمة الطريق عن عينيه، توهج نور نهضة أبي الأحرار عليه السلام في قلبه.

رأى الشهيد الصدر في ملامح وجهه طيبة محببة فأحبَّه، ورأى فيه مركز إشعاعٍ للجهاد وخير قدوة وقائد.

عام ١٩٧٧م تخرج في الجامعة، وانتقل من تجنيد البصرة إلى الخدمة العسكرية الإلزامية، تنسب في قاعدة الشعيبة الجوية وأنهى خدمته فيها.

وصدر أمر تعيينه المدني مهندساً في منشأة الحديد والصلب (البصرة)، طوال الخدمتين كان مواصلاً دروسه ونشاطه السياسي في

مدرسة الشهيد المظلوم الصدر.

***

قبس من التفكير:

تحرر من قيود أسر العمل بأفكار غيره، واختصر الوقت بالتفكير من أجل المسير على نهج النهوض بالأمة الإسلامية.

أبصر مكتبة المفكر الإسلامي المتواضعة التي لا تتجاوز مائة وخمسين كتاباً، سأل نفسه: كيف لهذا العلامة الكبير أن يجيبك على أي سؤال إجابة علمية دقيقة دون رجوعه لمصدر؟

علم أنه يقرأ الكتاب مرة واحدة، سأله أحدهم من هو محمد باقر الصدر؟ فردَّ: محمد باقر ٩٠٪ تفكير و١٠٪ مطالعة.

ذاب في عقلية أستاذه، قرر ممارسة النقد للذات، ممارسة التفتيش عن أسباب التراجع والتقهقر لهذه الأمَّة المأزومة القلقة ووضعها الذي لا تحسد عليه.

انشغل بالبحث عن الحلول للمشاكل في واقعنا وكيفية المحافظة على الهوية والدفاع عنها أمام المخاطر الخارجية.

تبادر إلى ذهنه مطالعة كتاب أستاذه (فلسفتنا)، قلَّب ثنايا صفحاته قرأ: «الرؤيا الكونية بالنسبة إلينا هي معيار نستطيع من خلاله أن نغيّر واقع حياتنا الاجتماعي والسياسي والشخصي».

***

أوضاع السلطة:

في سكون ليلة شتاء ضاق صدره، عاد بعينيه الغائمتين من العمل إلى المنزل.

مذ كان طالبا في الجامعة، يتابع أساليب حزب البعث القمعية، والذي وصل إلى السلطة بقطار أمريكي، ويحلل تلك الأساليب والسلوك بدقة.

قرَّر إكمال السير ماشياً على الأقدام، استنشق هواء البصرة بعمق وملأ رئتيه بعبير ورود حدائق المدينة، تذكر ما يعلبه الحزب الكافر على وتر (نظرية المؤامرة).

تذكر بعض الشواهد من تجربة المتابعة من عام ١٩٦٣- ١٩٧٩ عند تسلّمه مقاليد الحكم، شنَّ هجوماً إجرامياً كحمام الدم في سلسلة من جرائم الاغتيالات والاعتقالات على كل من يخالفه ولم ينتمِ إليه؛ حتى وصلت رائحة الدم إلى أنوف كافة أبناء الشعب.

وبدت الخطوط العريضة تتمحور في عقله إلى تفاصيلها الجزئية؛ من اغتيال عبد الكريم قاسم إلى استهداف من يعتنق الفكر الإلحادي كالشيوعيين والتجار المؤمنين وإعدام بعضهم واتهامه بالتجسس إلى استهداف الإسلاميين.

كان جمال يرى الحقائق بدون ضبابية؛ حتى من يعرف عمق تحليله يستهجن تفكيره على المستوى السطحي المقتصر على العمل

الوظيفي والدراسات الدينية؛ فهو سياسي وطني حد النخاع ويتمتع بصفات ضابط مخابرات محنك.

عام ١٩٧٩ سمع من المذياع تنحّي أحمد حسن البكر عن السلطة، وتنازله لنائبه صدام حسين، علم حينها أنَّ الدور الرئيسي لنائبه المهيمن على جميع إداريات البلد، وبيده كافة الأجهزة الأمنية، ومن بينها جهاز حنين السري (الجهاز الأمني الخاص بالحزب) الذي دبر اغتيال ابن البكر هيثم في حادثة سير..

أرسل البكر النائب المفترض مهدي صالح عماش إلى تفقد وحدات الجيش العراقي في الأردن، وأعلن في عشية تلك الليلة بأن نائبه صدام التكريتي.

كان جمال قد تنبّأ قبل ذلك الوقت بإعداد طاغية الحزب، وبروزه بشكل سريع وملفت للنظر.

وصل إلى مسامعه ما جرى في قاعة الخلد من تصفيات بعض البعثيين الأوائل؛ بذريعة التآمر من قبل سكرتير البكر مع رئيس سوريا حافظ الأسد ضد حزب البعث.

أدرك حينها أنَّ القضية ليست كما يشاع ويعلن ضد الحزب؛ إنما ضد فرد يريد الانفراد والاستبداد بالسلطة.

تيقَّن أنَّ فكرة التصفيات هذه ليست من تفكير الطاغية صدام، وأن من يدير أفكاره ويمليها عليه دولة غربية، مع إعداده ونفخه والإطراء

عليه من مؤسس الحزب ميشيل عفلق.

سمع صوت الصدر الهادر: هذا الخطر الخارجي الذي يهدد هويتنا الإسلامية.

تكرار فتوى السيد محمد باقر الصدر بحرمة الانتماء لحزب البعث في معظم مجالسه العلمية نقشت في ذهنية جمال.

يقارن تصرفات وسلوك الحزب الحاكم مع مبادى الإسلام الرصينة؛ تظهر له النتيجة فصل الشعب المسلم في العراق عن دينه وقيمه ومبادئه.

يسأل عن أساليب منهج البعث، يجدها نشر ثقافة إلحادية ومادية بين العراقيين عموماً، وبين طلاب المدارس والجامعات خصوصاً، يغرسون في الجيل الجديد مفاهيم وأفكار حزب البعث الإلحادية؛ لطمر الفكر الإسلامي والشعائر الإسلامية؛ حتى طالب المعلم تلاميذه بألا يشاركوا في شعائر الإمام الحسين في محرم وصفر لأنها شعائر بالية وسخيفة بحسب مفهومهم.

احتكت مرحلة البعث الجديدة في عمله الوظيفي؛ من خلال الحملة الواسعة والشاملة لإجبار العراقيين على الانتماء لحزب البعث، لم يتأثر بهذه الحملة، نصح زملاءه وكل من يعرفهم بعدم الانتماء وحرمته.

سأله مسؤول عمله في منشأة الحديد والصلب: هل يمكن الانتماء الصوري إليهم؛ من أجل لقمة العيش؟

رد عليه السيد الصدر: لا يجوز؛ هذا رضوخ للجور والطغيان.

وشرح له خطورته والآثار المستقبلية الخطيرة التي تترتب عليها.

كرر المرجع قوله بهذه الفتوى، والتي سجلت له صوتياً من أحد جواسيس الحزب، كان يعلم خطورة موقفه، وردَّ أفعالهم عليه من اعتقال وأشد أنواع التعذيب.

إذن يعرف الثمن لكن لا يتخلّى عن رسالته المرجعية ووظيفته الدينية، هذا هو منهج الحسين عليه السلام، كلمة حق عند سلطان جائر، لا يؤمن بقيم ولا مبادئ ولا يرى للإنسان حرمة ولا كرامة.

***

الثورة في إيران:

تحسَّس تناغم العلاقة الوطيدة بين السيد الصدر والإمام الخميني ولفت انتباهه كثرة لقاءاتهما المتبادلة في النجف الأشرف.

علم أنهما مرجعان يحملان الرسالة ذاتها لقيام دولة إسلامية، تتصدّى للمخاطر الخارجية وتحفظ الهوية الإسلامية.

وتمنّى توديع السيد الخميني قبل مغادرته العراق إلى الكويت، لكن حالت الأجواء الإرهابية التي صنعتها سلطات الأمن دون ذلك.

عزم على مواصلة حضور دروس المرجع الصدر رغم الرقابة المكثفة على أستاذه.

صباحاً، جلس جمال يترقّب قدوم الأستاذ، دخل السيد محمد باقر

تعلو محياه فرحة غامرة وابتسامة لا يعرف مغزاها!

لهج لسانه بالصلاة على محمد وآل محمد، وقال: أبشركم أيها الأحبة، فقد منَّ الله تعالى علينا اليوم بسقوط أعتى الطواغيت على يد أكبر العلماء وسليل آل محمد؛ الإمام الخميني أيده الله بنصره، وعليه آمركم بعدم الترويج لمرجعيتي في داخل إيران من اليوم فصاعداً؛ حتى لا تخدش مرجعية السيد روح الله الخميني؛ فوالله لو أمرني السيد روح الله أن أكون وكيلاً له في أي مدينة عراقية سأكون ممتناً له.

***

تطوّر الأحداث:

مارست السلطة البعثية قمعها على المرجع السيد محمد باقر الصدر وزجه في معتقلاتها عدة مرات في الأعوام (١٩٧٢) و(١٩٧٤) و(١٩٧٧م) وآخرها (١٩٧٩)، فكان جمال أحد نشطاء الانتفاضة الشعبية العارمة الشاملة في النجف الأشرف التي حدثت في عموم العراق والخليج وإيران ولبنان وباكستان؛ للمطالبة بالإفراج عن المرجع من سجون الأمن العام؛ مما أجبر السلطة على إطلاق سراحه.

جنَّ جنون البعث بانتفاضة رجب الجماهيرية المباركة التي كانت على وشك اندلاع ثورة والإطاحة بالسلطة البعثية، وأصدرت أوامرها إلى الأمن العام بمتابعة المشاركين واعتقالهم ومداهمة منازلهم كحل للمأزق الذي وقعوا فيه.

كان جمال من أهم المطلوبين لجهاز الأمن، اختفى حينها عن أنظار وكلاء الحزب وعملائه والأمن، وتحرَّك بسرية شديدة، كما تابع ما ينشر عن هذه الانتفاضة الخالدة في الصحف الداخلية والخارجية، توصل إلى أن هذا الجنون جاء نتيجة تلك الصحف التي صورت للبعث قيام ثورة إسلامية في العراق كالثورة الإسلامية في إيران.

فُرِضت الإقامة الجبرية على المرجع في منزله من حزب البعث ما يقارب ستة أشهر، إلا أن هذه الإقامة لم تثنِ جمالاً عن مواصلة مرشده الروحي من خلال أحد الطلبة القريبين من المرجع، وتذكر تأكيد أستاذه على دعم الإمام الخميني والثورة في إيران، ويتّخذهما منهجاً لنفسه يحتذيه كعاشق للصراط المستقيم ومصدّقٍ للنبأ العظيم.

تذكر خطاب أستاذه إلى الشعب المسلم عند اختياره وانتخابه للجمهورية الإسلامية: لا شك أنكم باختيار الجمهورية الإسلامية منهجاً في الحياة وإطاراً للحكم، تؤدون فريضة من أعظم فرائض الله تعالى، وتعيدون إلى واقع الحياة روح التجربة التي مارسها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وكرس حياته من أجلها، وروح الأطروحة التي جاهد من أجلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحارب لحسابها المارقين والقاسطين، وروح الثورة التي ضحى الإمام الحسين عليه السلام حتى آخر قطرة من دمه الطاهر في سبيلها.

وأردف: لم يكن الإمام الخميني في طرحه لشعار الجمهورية

الإسلامية؛ إلا استمراراً لدعوة الأنبياء، وامتداداً لدور سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام في إقامة حكم الله على الأرض.

كان يعلم من كتب نظام الجمهورية الإسلامية (مسودة الدستور) أنَّ العلاقة الراسخة بين المرجعين علاقة خط ومسيرة ومنهج ينبع من تصور واحد هو تحرير الأمة وحاكمية الإسلام.

تذكَّرَ محاضرة الصدر الأخيرة في مسجد الشيخ الطوسي قدس سره بعنوان (السنن التاريخية في القرآن) ما ملخصها: إسقاط حكم الطاغوت وإقامة حكومة الله في الأرض.

ذكرياته وتحليلاته قادته إلى أن أحد أسباب فرض الإقامة الجبرية هو التصريح بمحاضرته الأخيرة.

***

اعتقال واعدام:

انتابه القلق على الصدر وتساءل: إلى متى تكميم الأفواه بالقوة والبطش؟

لا جدوى من محاولة إنقاذ المرجع بعملية تهريب، رأى السيد محمد باقر الصدر شمعة تحترق وتفنى لتضيء الطريق للآخرين.

سافر إلى بغداد، تحرك مع ثلاثة أفراد من الدعاة لمعرفة ما يدور خلف الكواليس في جهاز المخابرات البعثي حول أستاذه.

أخبره أحد أصدقائه الذي يعمل شقيقه في الجهاز أنَّ لجنة من

جهاز المخابرات المصري أشارت على برزان التكريتي رئيس المخابرات بإعدام الصدر قائلين: واجهنا في مصر نفس المشكلة مع الشيح حسن البنا، فقمنا بإعدامه، وانتهى الموضوع.

أبى أن تظهر عليه إمارات الضعف والانكسار، عزم العودة قريباً من النجف الأشرف ليلتقي الرابط بينه وبين المرجع وأخبره بما علمه.

جاءت الأخبار باعتقال الصدر وشقيقته العلوية بنت الهدى في الأسبوع الأول من شهر نيسان عام ١٩٨٠.

في اليوم التالي انتشر خبر إعدامهما في الساعة العاشرة مساء، ذرف الدموع بحرقة، ما أروع قدسية الهدف وما أعظم الشهادة بعلم ووعي واختيار.

إن قتلك شهادة تضحية واعية على طريق الهدف المقدس.

رحمك الله أَيها العالم والإنسان الاستثنائي فقيهاً، أصولياً، فيلسوفاً مفكراً كاتباً وباحثاً، مربّياً روحانياً، سياسياً، ورزقنا المولى شفاعتك وألحقنا بك والشهداء.

***

هلع:

غربتْ شمسُ العراق وغابَ بدرُها، دبَّ الخوفُ في النفوس، تخاذلَ بعضُ بني الجلدة وأميط اللثام عن جوق المطبّلينَ من ذئاب السلطة الذين دسَّهم حزب البعث في المدارس الدينية العلمية والمساجد

والمؤسسات الحكومية.

لهاثُ جهازي الأَمن العام والمخابرات كالكلاب المسعورة بحملات من الاعتقالات والإعدامات شملت الاعتداء على النساء أَمام ذويهن وأَزواجهن في غياهب المعتقلات والسجون، وتسفيرُ بعض المواطنين مع مصادرة أَموالهم تحت ذريعة مسمَّى (التبعيّة).

تأطَّر الشعب بالوهن، نخر جسده الضعف استمرَّ الإرهابُ على المؤمنين، لاحقوا جمالاً، وحُكِمَ بالإعدام غيابياً.

سأل نفسه: كيف أجاهد بقوة وأنا مقيد بالحركة والحكم؟

تمتمَ: الحسين عليه السلام قاتلَ إلى آخر لحظة، أَبى الانكسار، واجه عدوَّه حتى تضرَّج بدمه الطاهر، وحفيده الشهيد المظلوم وضع لنا بذرة الجهاد لنسقيها فتكبر.

تذكر قول أَمير المؤمنين عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّة، فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّة أَوْلِيَائِه وَهُوَ لِباسُ التَّقْوَى وَدِرْعُ اللهِ الحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ الوَثِيقَةُ فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَشَمِلَهُ البَلاَءُ وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَالقَمَاءَةِ وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِه بِالأَسْدَادِ وَأُدِيلَ الحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الجِهَادِ، وَسِيمَ الخَسْفَ، وَمُنِعَ النَّصَفَ.

***

هجرةٌ لعودة في ربيع آتٍ:

يتمتع بعلاقات طيّبة مع مسؤولي عمله، قدم لمدير منشأة الحديد

والصلب، طلب تزويده بكتاب موافقه إلى دائرة جوازات البصرة لغرضِ سَفَرِ عملٍ في الكويت.

في شهر ربيع عام ١٩٨٠ غادر البلاد من منفذ صفوان الحدودي حاملاً جواز سفره وشهادته في الهندسة.

استقبله والده بالأحضان، أَقام بمنزله مدة، وعمل مهندساً في القطاعين الخاص والحكومي الكويتي؛ بنى عمارات عدّة في الكويت، واخترق القلوب بدماثة أخلاقه والتزامه بالمبادئ الشريفة.

يذاكر توصيات الشهيد المرجع في ذهنه: كلماته، تواضعه، دعمه للثورة الإسلامية في إيران.

تحرك بذهنية صافية ونيَّة صادقة وحماس نظّم فرعاً لحزب الدعوة الإسلاميّة، ثم غادر تنظيمات الحزب، وتعلّق بمدرسة الإمام الخميني، تعرَّف على القيادي في حزب الله اللبناني الحاج مصطفى بدر الدين، فعملا سويَّاً، وشكَّلا خلايا جهادية من المؤمنين.

هل كان جهادُهم حولَ أَهدافٍ في الكويت أو لمجاورتها لدولة العدو؟

***

اقتران:

لمحت عيناه سيدة عراقية خريجة كلية الآثار في بغداد من ولادة وسكن محافظة النجف الأَشرف، لاحقتها السلطات البعثية لكثرة

نشاطاتها الدينية التابعة إلى خطّ الشهيدة بنت الهدى (آمنة الصدر)، فاضطرّت مغادرة العراق مع أخوتها إلى الكويت.

أُعدم والدها من أَمن السلطة بحجَّة سفر أَولاده خارج البلاد.

عام ١٩٨٠ علمت السيدة بجهاد جمال وصدور حكم الإعدام بحقه، تعرّفت عليه.

بعد سنتين وجد ضالته في شريكة حياته ورفيقة دربه، مؤمنة، رسالية، مثقفة، شجاعة صابرة، متأسية بحرائر بيت النبوة.

اصطحب والده وخطبها من أخوتها، استأجر شقة وعقد قرانهما بين الأسرتين.

***

الخروج لبلد آخر:

انتشرت بين أيدي المواطنين في بغداد إبان سقوط الطاغية، بعض أوراق ملفات جهاز المخابرات شعبة مكافحة التجسس، وبينها صفحات تالفة ومحروقة من ملف الجهاز (محطة الكويت) وفيها يقسم ضباط المخابرات في الكويت إلى فرقتين، الفرقة الأولى: تقيم في شقة كمقر للجهاز- محطة الكويت-، والفرقة الثانية: ملحقية بالسفارة العراقية بصفة دبلوماسية.

يتحركون بحرية؛ لمتابعة المطلوبين من المواطنين بسبب بطش السلطة، شكلوا عدة شبكات من الوكلاء الموزعين في أنحاء الكويت،

وكلف العملاء بالعديد من المهام كجلب المعلومات واختراق المؤمنين في المساجد، وإحدى واجباتهم إقناع المهاجرين بالعودة إلى العراق عن طريق السفارة العراقية وأخذ العفو لهم.

أبت الغالبية العظمى الامتثال لهذا العرض؛ إلا بعض الأفراد الذين خدعوا وعادوا، فكان باستقبالهم شعبة تحقيقات المخابرات، قدموا لهم معلومات مفصلة عن كل ما يعرفونه.

في عام ١٩٨٢م قُدّم إلى مدير الجهاز الجديد فاضل البراك، ملف معلومات المحطة في الكويت، أمر شعبة الدراسات بوضع دراسة تقضي بتأجيج وهيجان الحكومة الكويتية ضد المعارضين من العراقيين هناك.

كم صفحة كتب فيها اسم جمال ونشاطاته؟

هل الهجمات التي تعرضت لها السفارتان الفرنسية والأميركية عام ١٩٨٣ من تدبير جهاز المخابرات العراقي السابق؟

عام ١٩٨٣ وضع اسمه في لائحة المتهمين بتفجير السفارتين من الحكومة الكويتية.

سادت الكويت أجواء مضطربة؛ وضع لا يحتمل مقومات المثول أَمام القضاء والرد على التهم.

العراق كثف هجماته ضد المناطق الإيرانية، ويحاول التخلص من المعارضين في الكويت وكسب حكومة البلاد لصالحه.

وصول أجهزة المخابرات لسفارة البلدين موقع الحادث،

والاهتمام بالتحقيقات وإلقاء القبض على المتهمين واستجوابهم لمعرفة من وراء هذين الحادثين.

صحيفة كويتية تنشر اسمه كمتهم في التفجيرات!

التَمَعَتْ عيونُ أُخوته من المجاهدين، صورته الملصقة على جدران المطار وبعض الشوارع.

نصحه رفاقُهُ بالهروب، أُعِدَّتْ خطةٌ سريعة لمغادرته، انتاب زوجته القلق، اقترح المجاهدون عليها الذهاب قبله أو تبقى لمدة وجيزة ثم تلتحق به.

لا تبالي بعيون ترمق هديلها وخلجاتها، وضعت الموقف في متحف الذاكرة قطعت التشابك الذي يدور في رأسها بقولها: أرافق جمال أينما يذهب.

اصطحب أسرته في عتمة الليل، وصلوا فجراً إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

صباح اليوم التالي اعتقلت الحكومة الكويتية والده، وهجرته إلى العراق، فاعتقل لعدة سنوات في سجون النظام السابق.

***

إيران:

عيناه الناظرتان إلى زوجته تسكبانِ في روحها شعاع إيمانه اقتبست من نور إخلاصه وولائه شمساً لا تغيب عن الأسرة؛ بدأت مسيرة الجهاد

الجديدة.

قبضت أسرته بأناملها على كفه المعطاء يلاطفهم، عرفوا الحياة من عينيه يستمدونها من نبضه الزاخر بكل معاني الإيمان والعطاء.

عام ١٩٨٤ التحق باسمه الحركي أبو مهدي المهندس في لواء بدر الظافر، وأنهى تدريباته متخرجاً من الدورة الثامنة، أصبح أحد مؤسسي تشكيل فيلق بدر المشرف عليه القيادي في الحرس الثوري إسماعيل دقائقي.

تولى مناصب عدّة فيه كمسؤول الإعلام، رئيس الأركان، ثم القائد الميداني له، كما كان عضواً في المجلس الأَعلى للثورة الإسلامية في العراق بقيادة الشهيد السعيد السيد محمد باقر الحكيم.

اشترك في أَول عملية عسكرية داخل العراق، وأُطلق عليها كربلاء (٥)، وبالعديد من العمليات كمنفّذ ومدبّر ومخطّط، ففي التسعينيات خطط لعملية استهداف القصر الجمهوري، واستهداف قاعدة حبيب التابعة لمنظمة مجاهدي خلق الإيرانية التي كانت تحت حماية المخابرات العراقية، وتشكيل المجموعة التنفيذية لعملية اغتيال المجرم عدي صدام حسين في بغداد منطقة المنصور.

يغيب بين الحين والآخر عن أسرته، ورفيقة دربه تنهض بأعباء تربية البنات الخمس تغرس الإيمان في نفوسهن وتزرع الشجاعة في قلوبهن، تعلمهن الصبر.

أثناء الحرب تفرش سجادتها وتصلي أمامهن يسألنها: متى يأتي بابا من سفره؟

تجيبهن: قريباً إن شاء الله.

تهيئ الشجاعة الصابرة الأجواء المناسبة لزوجها أَثناء إجازته والعمل في مكتبه المنزلي.

ربَّى كريماته على كتمان الأسرار!

***

لقاء وتعارف:

التقى في التسعينيات بتؤام روحه الحاج قاسم سليماني، كل لقاء وعمل مشترك يجد بينه وبين الحاج صفات مشتركة بروحيهما المتحدتين في محبة الله تعالى.

كان التواضع السمة البارزة بينهما، يزور المهندس في بيته يلاطف بناته يقول لهن: أنتن بنات أخي.

سألت منار والدها: من الحاج قاسم بالنسبة إليك؟

ـ أجابها مبتسماً: التقيت كثيراً من الأشخاص، كنت أرى سلوك الحاج قاسم في مواقع مختلفة، أراه مختلفاً عن الآخرين، مدَّ كفَّه الأَيمن ولهج لسانه: (مخلص).. مسح كفَّه بكفِّه الآخر وأردف: (نقي).

عادت تسأله مخففة من سرٍّ ربما كان يتعبها: بابا عند وفاة الإمام الخميني تعرفت على السيد الولي الخامنئي؟

ردّ: كنتُ قلقاً بعد وفاة السيد الخميني، إلى أَنْ مَنَّ اللهُ علينا بالإمام الخامنئي..

وأردف: من واجبات الإنسان معرفة الولي والترويج له.

***

مبدأ ودراسة:

حمل مبادئه ووعي الضمير في كفٍّ، ووطنيته في كفِّه الآخر.

عام ٢٠٠٢م خرجت اجتماعات المعارضة العراقية في مؤتمر لندن بخيار مساعدة أَمريكا وحلفائها بهدف إسقاط النظام البعثي واحتلال العراق.

أَيقظ إحساسَهُ وتَجرَّدَ من الانجرار العاطفي؛ جراء ما لحقه من ظلم النظام السابق ومعارضته له ووجود قوة كبيرة للتغيير.

قدم استقالته من قيادة فيلق بدر وعضوية المجلس الأَعلى، عارض فكرة غزو العراق عند أَول الغيث، معرباً عن رأيه بفكره كإجابة تختصر جدلاً مفترضاً، وتحسم النقاش: التغيير يجب أَن يكون بيد العراقيين والمعارضة، لا بيد القوات الأَجنبية من خلال الاحتلال.

ليس غريباً على وطنيّته، تحسسُّهُ بما تَحَمَّلَهُ الشعبُ العراقي من الأَوجاع الرهيبة، تلظَّى جوعاً، جربت عليه أَمريكا جميع أَسلحتها فرضت على المواطنين الحصار الجائر.

كأَنَّه حلَّلَ المرحلة القادمة؛ انشغل بالتقديم للدراسات السياسية

للعلاقات الدولية.

نالَ مرتبة الماجستير برسالته الموسومة: السياسة الخارجية الأمريكية في عهد بوش الابن تجاه العراق.

***

مناهض الاحتلال:

دخل العراق عام ٢٠٠٣ يحمل خبرته الجهادية والسياسية، وقف شامخاً كأنَّه على جبل يرى منظراً متراميا، تحسَّس فرصة الوصول للمقامات الكونية التي لا يستوفيها الإدراك، ضجيج غريب، أصوات تعلو، وأخرى تختنق توحي بالموت.

تأمَّلَ بهدوء، راقب عن كثب تحركات العدو، استنشق رائحة بقائه كمحتل!

استنتج من المعطيات توسّع العمليات؛ كضرب البنى التحتية وبناء القواعد العسكرية، انعدام الاستقرار، بث الطائفية، تفكيك المكونات العراقية بالتهجير، محاولة استهداف دول الجوار.

عرف أسلوب قتال العدو، هل انكشف أمامه مشروع واشنطن.

سارع بتشكيل فصائل مقاومة عراقية، ودعمها لاستهداف القوات المحتلة.

كبَّد جيش العدو خسائر كبيرة؛ مما اضطرهم لسحب الغالبية العظمى من الجيش وانكفاء ما تبقى منه داخل القواعد العسكرية

المحصنة.

خطَّط لعمليات المقاومة المؤثرة، وصفه (مايكل ناكس) الخبير في معهد أبحاث واشنطن: بالعدو اللدود الأول للولايات المتحدة، وأنه أكثر عداء من المجموعات المسلحة.

***

سياسي:

عام ٢٠٠٦ مارس دوره السياسي، وأصبح نائباً في البرلمان العراقي.

عام ٢٠٠٨ وضعت قوات الاحتلال اسمه في لائحة الإرهاب نتيجة موقفه الرافض لوجودهم في العراق.

وجدَّد الاحتلال أمر إلقاء القبض عليه؛ كما هدد السلطات العراقية بفرض اعتقاله.

توارى عن الأنظار، استضافه النائب بهاء الأعرجي في منزله ثلاثة أيام حتى خرج إلى إيران.

بعد سنة واحدة، طلب رئيس مجلس النواب المشهداني من النائب بهاء، الاتصال بأبي مهدي المهندس ليستلم رواتبه والحماية والبالغة ٣٠٠ مليون دينار.

وبجواره النائب قصي السهيل، اتّصل بالمهندس في إيران يخبره بمستحقاته، وطلب منه إرسال مندوب عنه، وكان بجواره النائب قصي السهيل، فكان ردّه بالرفض لأنه لم يلتزم في البرلمان.

عام ٢٠١١ تصدى بموقف وطني واضح لانسحاب الاحتلال؛ قرَّب وجهات النظر بين مختلف المكونات السياسية، وكان له الدور الريادي والمهم لإنضاج العلمية السياسية.

الفصل الثاني

التنظيم الأسود:

الخطةُ المحبوكةُ صنيعةُ تنظيم داعش.. تطوَّقوا بالسواد وتستَّروا بالإسلام صنيعة دول غربية وإقليمية من البدع الدخيلة على الشرع الإسلامي.

نشرت العديد من الوثائق في الفضائيات العراقية التي شخَّصت إمضاءات بعثية الجذور.

أَهداف إرهابي التنظيم عدمُ الاستقرار وبوحٌ باحتلالٍ وسلبِ بقايا الوطن.

غاراتٌ متتالية في بعض المحافظات أَرواح تزهق، قلوب ترتجف، شوارع تنزف أرصفتُها دمُ الأَبرياءِ، رؤوسُ الزوار المنحورةُ مشاعلُ في حزام بغداد.

توشَّحتِ الأمّهاتُ بالسواد وأَنهكها البكاءُ، تسيل دموعُهنَّ كنهرٍ جارٍ لاستئصال عفة بناتهن التي ارتفعت أَعدادها مذهلة.

هل احتضنت أرض اللطيفية وجرف الصخر أجسادهنَّ بدون خطيئة؟

الآلاف من العراقيين والعراقيات ضحايا التنظيم عانقت أجسادهم

عتمة القبر غدت رائحة الموت تزكم الأنوف.

عصف اليأس ببلاد الرافدين، وأصبح الأسى في مقلتيها دماءً، وكأن الشعب كالطير هدَّ جناحيه إعياءٌ.. وألمَّ بجانبيه الداء، وبات كالجسد المنخور يدخله من كل مكان هواء وماء.

جو البلاد ملبَّد، انهيار المفاصل الأمنية، كثرة التداعيات، إرهاصات تظاهرات مؤيدة للتنظيم، عناصر من داعش تستحكمُ أماكنَ الاعتصامات.

نحر أكثر من ١٧٠٠ شابٍ من المتطوعين لخدمة البلاد في قاعدة سبايكر رُميت أجسادهم في النهرِ، احتلَّ تنظيم داعش الفلوجة وتكريت والموصل وقطع طريق سامراء ونصبَ خلايا كمائن وقنص في منطقة الدجيل، وحاصرَ آمرلي وغيرها من المناطق.

اهتزَّ المقرّ العسكري، ومرَّ بأزمة إقالة بعض الضباط، كما كانت مشاجب أسلحة وزارة الداخلية خالية من الأعتدة وفقدت الشرطة الاتحادية سيطرتها على مناطق أساسية في الموصل وصلاح الدين والرمادي.

وأصبح السلاح الأمريكي دون عتاد.. طلب رئيس الوزراء نوري المالكي من القوات المحتلة تزويد الحكومة بالسلاح والعتاد بحسب الاتفاقية الأمنية بين البلدين، تعثر الطلب وأُهْملَ المطلوبُ.

قامت القوات بسحب الشركة المعنية بصيانة وإصلاح طائرة

ودبابات درامس ونقلتها من العراق إلى الإمارات، هل تزويد الحكومة العراقية بالسلاح للدفاع عن البلد من خطر داعش يضر بالمصالح الأمريكية؟

ما هو سبب ترك العراق لوحده في هذه المحنة مع وجود اتفاقية أمنية واستراتيجية بين العراق وأمريكا؟

طلب نوري المالكي رسميّاً من الجمهورية الإسلامية الإيرانية تزويد الحكومة العراقية بالسلاح المختلف والأعتدة المتنوعة، لبَّتْ إيران هذا الطلب خلال يوم واحد، وأرسلت قائد حرس الثورة الحاج قاسم سليماني لبغداد.

اتَّصل رئيس الوزراء بأبي مهدي المهندس طالباً منه حماية بغداد.

تحرَّك المهندس بذهنية متهيّئة للعمل، دجَّج المقاومة العراقية بما يمتلكون من سلاح ووزَّعهم على أطراف المحافظة لصدّ زحف تنظيم داعش.

***

فتوى الجهاد الكفائي:

بعد سقوط الموصل بيد إرهابي داعش وتهديم مراقد الأنبياء وأضرحتهم، سمعتُ من بعض المؤمنين الثقات لأول مرة في منتصف ليلة الجمعة: خرج المرجع الأعلى سماحة السيد علي الحسيني السيستاني من منزله حزيناً يحمل هموم الشعب العراقي الظاهرة على محياه وفي

خطاه البطيئة اتّجه نحو ضريح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام دخل المرقد بمفرده وغلق الباب، بعد أَن أَنهى زيارته عاد للمنزل.

لم يخرج المرجع من منزله منذ سنوات طويلة، فما سر الزيارة؟

صلَّى المهندس صلاة الفجر يوم الجمعة في (١٤/ شعبان /١٤٣٥هـ) الموافق (٢٠١٤/٦/١٣م).. إحساس داخلي أَنَّ هناك شيئاً ما سيحدث في هذا اليوم لا يعلم ما هو!

كعادته كل جمعة ينتظر خطبتها بشغف ويصغي لخطبة ممثل المرجعية من ضريح الإمام الحسين عليه السلام عبر فضائية كربلاء.

فجأة انتابه الحماس أثناء سماعه الخطبة الأولى ازداد شوقاً ليكمل الخطيب الخطبة الثانية قائلاً: «إنَّ العراق وشعبه يواجه تحدياً كبيراً وخطراً عظيماً وإنَّ الإرهابيين لا يهدفون إلى السيطرة على بعض المحافظات كنينوى وصلاح الدين فقط، بل صرحوا بأنهم يستهدفون جميع المحافظات ولا سيما بغداد وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف، فهم يستهدفون كل العراقيين وفي جميع مناطقهم، ومن هنا فإنَّ مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع ولا يختص بطائفةٍ دون أخرى أو بطرفٍ دون آخر.

إن التحدي وإن كان كبيراً إلا أَنَّ الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة والإقدام وتحمّل المسؤولية الوطنية والشرعية في الظروف الصعبة أكبر من هذه التحديات والمخاطر.

إنه لا يجوز للمواطنين الذين عهدنا منهم الصبر والشجاعة والثبات في مثل هذه الظروف أن يدبَّ الخوفُ والإحباطُ في نفسِ أيِّ واحدٍ منهم، بل لا بد أن يكون ذلك حافزاً لنا للمزيد من العطاء في سبيل حفظ بلدنا ومقدساتنا».

ودعا الكربلائي القيادات السياسية إلى ترك الاختلاف والتناحر ولا سيما خلال هذه الفترة العصيبة، وحثّهم على توحيد مواقفهم ودعمهم وإسنادهم للقوات المسلحة؛ ليكون ذلك قوة إضافية لأبناء الجيش العراقي في الصمود والثبات، موضّحاً أَنَّهم - أي القيادات السياسية - أمام مسؤولية تاريخية ووطنية وشرعية كبيرة.

وأردف أَنَّ دفاع أَبنائنا في القوات المسلحة وسائر الأجهزة الأمنية هو دفاع مقدس، ويتأكّد ذلك حينما يتضح أنَّ منهج هؤلاء الإرهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الإسلام يرفض التعايش مع الآخر بسلام ويعتمد العنف وسفك الدماء وإثارة الاحتراب الطائفي وسيلة لبسط نفوذه وهيمنته على مختلف المناطق في العراق والدول الأخرى.

وخاطب الكربلائي أبناء القوات المسلحة قائلاً: اجعلوا قصدكم ونيّتكم ودافعكم هو الدفاع عن حرمات العراق ووحدته وحفظ الأمن للمواطنين وصيانة المقدسات من الهتك، ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح.

ثم قال الكربلائي: «وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها وإسنادها لكم فإنَّها تحثّكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر، وتؤكّد على أَنَّ مَنْ يُضحّي بنفسه منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأَهله وأَعراضهم فإنَّه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى».

وأَضاف: «المطلوب أنْ يَحثَّ الأبُّ ابنه، والأمُّ ابنها، والزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعاً عن حرمات هذا البلد ومواطنيه».

وتابع قائلاً: «إنَّ طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه وهذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي، بمعنى أنَّه إذا تصدَّى له مَنْ بهم الكفايةُ بحيث يتحقّق الغرضُ وهو حفظ العراق وشعبه ومقدساته يسقط عن الباقين».

وأَردف: «ومن هنا فإنَّ المواطنين الذين يتمكّنون من حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنية».

واختتم ممثل المرجع السيستاني كلامه بقوله: «إن الكثير من الضباط والجنود قد أبلوا بلاءً حسناً في الدفاع والصمود وتقديم التضحيات، فالمطلوب من الجهات المعنية تكريم هؤلاء تكريماً خاصاً لينالوا استحقاقهم من الثناء والشكر وليكون حافزاً لهم ولغيرهم على أداء الواجب الوطني الملقى على عاتقهم».

تساقطت دموع أبو مهدي فرحاً، دخل السرور لقلبه، مسكت أنامله القلم، كتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (روحي لك الفداء)

(لبيك لبيك لبيك يا داعي الحق)

نعاهدكم سيدنا المفدى على حمل السلاح والجهاد والمشاركة في الزحف الجهادي الحسيني المقدس بأرواحنا وبكل ما نملك من أجل وقف هذا الغزو اليزيدي التكفيري البعثي الجائر، من أجل الدفاع عن مقدّساتنا وعن حرم أئمتنا علي والحسين والكاظم والجواد والهادي والعسكري وأبي الفضل العباس عليهم أفضل الصلاة والسلام، ومن أجل الدفاع عن أعراضنا، عن عراقنا، وعن جميع المظلومين.

لقد لبى نداءكم آلافُ المجاهدين من أبنائكم من ذوي الخبرة بفنون القتال من الذين عرفتهم سوح الوغى ضد الظالمين والبعثيين والتكفيريين، وقد انخرط هؤلاء المجاهدون اليوم في جبهات الحق ضد الباطل والمشاركة في إدارة وتنظيم وقيادة هذا الموج الهادر من المجاهدين الزاحفين لسوح الجهاد تلبية وطاعة لفتواكم.. داعمين ومرابطين ومعاضدين لقواتنا المسلحة البطلة التي تواجه ببسالة وفي أكثر من جبهة هذا العدو الظالم الغاشم.

واطمئنوا يا سيدي بأنَّنا بالمرصاد لهم، ولن يمرُّوا إلا على أَجسادنا.

(وما النصر إلا من الله العزيز الحكيم)

أبو مهدي المهندس

١٥/ شعبان/ ١٤٣٥هـ

باشر أَبو مهدي عمله بصدق وحماسة، شَكَّلَ مقرّاً قيادياً في منزله المكوَّن من أربع غرف، استدعى أَهل السابقة الجهادية، وقدَّمَ خريطة إلى القائد العام للقوات المسلحة حول تطورات العلميات وتَقدُّمِ داعش في المناطق.

وتكلَّفَ المهندس رسمياً من رئيس الوزراء بمرافقة مستشار الأَمن الوطني فالح الفياض، وقدَّمَ خطة لفتح مقرات قيادية لمواجهة تقدُّمِ العدو في مناطق العراق.

***

تدفّق المتطوعين:

اهتزَّت قلوب عامة الناس حين تحسَّسوا فتوى السيد السيستاني بوجوب الجهاد الكفائي.. إنَّها نسماتُ العناية الإلهية التي تحفها نفحاتٌ يَعبقُ برائحتها كلُّ مجاهدٍ مخلصٍ في سبيل الله تعالى على إثرِها هبَّ الشجعان بشعلة ثائرٍ وبفتوى الجهادِ شكَّلوا الألوية من تلك البلادِ.. مراجل تغلي دماً.. ليوثاً لبَّت النداء.

هبّوا كصفوةٍ مختارةٍ إلى مراكز تطوّع القوات الأمنية في منطقة التاجي، كأَنَّ السماء هيَّأتهم للعمل المفيد والدعوة للحق والاستجابة للرشاد والقدوة الحسنة لما فيه خير الناس وسعادة الأوطان.

استقبلهم المهندس وعلى هامته لواءٌ، وفي رأسه عقيدةٌ، لعلَّه نطق بشعار تحرير الأرض واستقلال الوطن والأمة من براثن احتلال الارهاب.

نظم صفوفهم، وراح يؤسس لهيكلية الحشد الشعبي قبل تسميته بهذا الاسم.

***

بروز الاسم:

سبعة وثلاثون عاماً لا تأخذه في الله لومة لائم لم يخشَ بأساً، ولم ترعبه المخاوف، متستر بغطاء الصمت عن الشهرة، يعدون على الأَصابع ممَّنْ يعرفُ اسمَهُ الحركي... (الحاج أبو مهدي المهندس)، قتل الأنا بجهاد النفس؟

في أَول الغيث عام ٢٠١٤ تحمَّل تنظيم الصفوف وتأسيس هيكلية الحشد الشعبي وقيادة العمليات العسكرية.

أصبح اسمه بين الدخان المتراقص كرائحة البخور النافذة.

***

سامراء طريق مغلق:

نزفت قلوب الأحرار منذ ٢٠٠٦م يوم أَقدم الإرهابيّون من تنظيم

القاعدة، على تفجير القبّة الشريفة في مقام الإمامين العسكريّين عليهما السلام، هل كانوا ينتظرون لحظة تاريخية لفكّ الحصار عن المقام؟

العاشر من حزيران ٢٠١٤م ساعد سقوط الموصل بيد داعش على تضييق الإرهابيين الخناق على سامراء، اشتدّ الخطر.. قصف وغبار وسيّارات محروقة، وتهديد من جديد بهدم القبّتين.

حضر الحاج قاسم سليماني لمقابلة رئيس الوزراء العراقي، اتَّفقا على التنسيق بين البلدين لإنقاذ سامراء.

في اليوم الثاني وجَّه القائد المهندس دعوة للقادة الجهاديّين كافة في العراق بشأن اجتماع طارئ في منزله!

غادر المجتمعون بعد التباحث.

في منتصف الليلة نفسها استدعاهم الحاج أبو مهدي مرّة ثانية، وصل الجميع، تفاجئوا بالحاج قاسم يترأّس الاجتماع، فرش لهم الخرائط، في غمرة النقاش أعلن سليماني القرار الحاسم قائلاً: ينبغي التحرّك بدءاً من هذا الليل بهدف فتح الطريق، وفكّ الحصار عن مقام الإمامين العسكريّين عليهما السلام.

العدوّ مدجّج بأنواع الأسلحة العسكريّة، ويوشك على احتلال المنطقة بالكامل، قطعوا الطريق، نصبوا كمائن قنص، هل كان الظرف والميدان مهيَّآن لهذا النوع من التحرّك؟

أردف الحاج قاسم قائلاً: إن لم نتحرّك اليوم، سيدخل تنظيم

داعش إلى كلّ العراق. ينبغي اتّخاذ القرار بالمواجهة مهما كلّف الأمر.

طلبوا منه التريث في الوقت الحالي كي تتمّ عمليّة التشكيل والتدريب وتأهيل المجموعات العسكريّة القادرة على الجهاد.

ردَّ عليهم: إذا كنتم لا تريدون الذهاب الآن، سأذهب بمفردي.

صباح ١٣ حزيران ٢٠١٤م أعلنت فتوى الجهاد الكفائي تأشيرة المواجهة والقتال ضدّ المجموعات الداعشيّة.

في تلك الليلة كانت أولى الشرارات التي أشعلت درب القتال، وأعلنت بداية العمليّات العسكريّة.

القوات الأمنية على حدود سامراء بمسافة ٢٠ كيلومتر مربع، وصل سليماني والمهندس إلى معسكر اللواء ١٧، سحب الحاج قاسم كوفيّته من كتفه، وفرشها وسط الباحة، صلّى ركعتين، سار بعد الصلاة ليركب السيّارة غير المصفّحة!

تساءل المجاهدون بينهم، ما يفعل الحاج والأعداء يحيطون بنا؟

حاول بعضهم إقناعه بالعودة إلى نقطة آمنة، نظر إلى المهندس بجواره، ثم استدار برأسه لهم، وكرَّر عبارته: إن أردتم البقاء أنا سأذهب بمفردي.

أَدار محرّك السيارة، ركب الجميع عجلاتهم، ساروا خلفهما.

وصلوا نقطة جسر المحطّة بمنطقة بلد، انهال قصف الإرهابيّين على الرتل المتقدّم بعنف وبمختلف أنواع الأسلحة.

اشتبك الطرفان، سقط عدد من الشهداء، قرَّروا دخول بلد، مكثوا ثمانية أيّام، توجَّه الحاج قاسم إلى لبنان!

كان قائد العمليات الحاج أبو مهدي المهندس، زوّد القوات العراقية بأسلحة وأعتدة غير متوفرة لديهم، استلمها من الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وسلح عشرة آلاف مجاهد.

ليل ١٦ حزيران ٢٠١٤م، التقى الحاج سليماني سماحة الأمين العام السيّد حسن نصر الله، طلب من سماحته تزوّيده بـ ١٢٠ مجاهداً من الكوادر النوعيّين؛ لرفد الجبهات في العراق بخبرتهم العالية على كلّ المستويات.

جوف تلك الليلة أقبلوا على الحاج قاسم، أخبرهم عن طبيعة المهمة، خرق مسامعهم قائلاً حرفيّاً: إنَّ حزب الله زجاجة عطر يجب أن تفوح في كلّ مكان..

وصلوا مطار بغداد، أعلن لهم: ها قد وصلتم إلى كربلاء!

هل نصرة الحسين عليه السلام ونهجه في كل زمان ومكان؟

وصلوا سامراء، ركب الحاج سليماني الطائرة الحربية، حلَّق فوق المدينة، استطلع واستكشف كلّ الجهات والممرّات المحيطة بها.

يوم ٢٥ حزيران ٢٠١٤م استعدَّ الرتل للانطلاق من بلد، أمر المهندس بتقسيم الرتل إلى فرقتين، تسير الأولى باتجاه منطقة الإسحاقي، والأخرى من نقطة في سامرّاء إلى جنوبها، وتلتقي الفرقتان في نقطة

واحدة.

الساعة الثالثة ظهراً، اتَّصلوا بالحاج قاسم، أخبروه بخطوات المسير، ليلتقوا بنقطة المقام.

وسط الطريق المؤدي إلى المقام أبراج مراقبة الدواعش، وثمّة مفخّخات قد يتعرّض لها المسير.

أشار الحاج قاسم ويلازمه الحاج أبو مهدي لمرافقه في السيّارة بإكمال العبور، فأجابه مذهولاً: لكنّ المكان كلّه خطر، من المستحيل أن نكمل!

رد عليه سليماني بجدّيّة: اجلس إلى جانبي، أنا سأقود.

تنحّى السائق، قاد الحاج قاسم السيّارة المدنيّة، استطلع أبراج مراقبة العدو برجاً تلو آخر.

وصل الموكب عند وقت الغروب، المهندس كان يتولى قيادة العملية والمسؤولية عن متابعة تنفيذ مهمّة فتح الطريق تُجاه سامرّاء.

ابتهج العراقيون عند المقام، احتفوا واطلقوا الأهازيج الشعبية بهذا النصر، بعد الساعة ١٢ ليلاً، دخلوا المقام الطاهر، جثا قادة النصر على رُكَبِهم، مسحوا وجوههم بأرض الضريح، مرغو خديهم بالبلاط ثمّ في جنبات الضريح كلّه.

صلوا صلاة الليل، سمع أحد الشيوخ المرافقين الحاج قاسم همس بكلماتٍ ناجى فيها صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)،

قائلاً: يا صاحب الأمر أدركنا. يا صاحب الأمر سامحنا. نحن قصّرنا في المجيء. أدركنا!

عند المعارك في مناطق سامراء إلى تحرير جزيرتها[1] وجَّه المهندس نداءَهُ للقوات والحشد كافة قائلاً:

المحطات كافة، المحطات كافة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أولاً أبارك لكم الانتصارات العظيمة التي تحققت وإنجاز الواجب، وإن شاء الله نكمل المنطقة إلى حين التطهير الكامل وتثبيت موضعنا الدفاعي.

النقطة الثانية في المنطقة عندنا ٦٤ قرية ومئات العوائل الموجودة. القرار هو إبقاء العوائل في بيوتها وستكون مسؤوليتنا جميعاً كافة التشكيلات أمن هذه العوائل وحفظها في بيوتها واستقرارها، وتسهيل إيصال الخدمات لها.

وشكَّلنا لجنة برئاسة العميد محمد (أَبو امتحان) أَرجو التعاون التام معه، وكل تشكيل في منطقته في قاطعه يعيّن فريقاً للتعاون مع العميد محمد الذي سيكون مسؤولاً عن هذه مهمة، تأمين حياة العوائل وأَمنها واستقرارها، والحفاظ على أَموالهم وأَعراضهم وأَرواحهم، ورجاؤنا التعاون التام معه، وسيزوركم في كل القواطع شكرا لكم، ومن نصر إلى

(١) تحرَّرت جزيرة سامراء عام ٢٠١٦، وهي جزيرة كبيرة جداً تقع بين ثلاثة محافظات عراقية الأنبار والموصل وصلاح الدين، وتمتدّ من سامراء إلى بيجي وصولاً إلى بحيرة الثرثار غرباً.

نصر إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كان المهندس أثناء قيادته عمليات مناطق سامراء والمطار ومعمل الاسمنت والحراريات يصطحب معه الحشد الشعبي ورتلاً عسكريّاً من القوات الأمنية.

***

قاعدة سبايكر:

بتاريخ ١٢/حزيران/٢٠١٤ أسر تنظيم داعش جنوداً منتسبينَ إلى الفرقة (١٨) في الجيش العراقي، مهمّتهم حماية أنبوب النفط الرابط بين بيجي ومنطقة حقول عين الجحش في الموصل.

أسروا (٢٠٠٠-٢٢٠٠) جندياً، وقادوهم إلى القصور الرئاسية في تكريت، قاموا بقتلهم، وفي مناطق أخرى رمياً بالرصاص ودفنوا بعضهم أحياءً. ونجا قسم منهم هارباً إلى ناحية العلم التي يفصلها نهر دجلة عن تكريت، كان باستقبالهم قبيلة جبور وأمنت لهم عجلات ومستمسكات للهرب من سيطرات التنظيم وهرب بعضهم بطرق أخرى.

أوّل يوم من أسر الشباب المتطوعين على القوات الأمنية العراقية، قتل منهم ١٧٠٠ شاب بمجزرة قام بها العدو، رميت جثثهم بالنهر ودفن بعضهم أحياء.

انطلق المهندس بـ(٣٠٠) مجاهد لتثبيت هذه القاعدة، وحمايتها

برجال الحشد الذين يحملون أسلحتهم والعتاد الإيراني.

هل هناك من لا يرغب أن تكون قوى مدعومة من إيران؟

***

حصار آمرلي وتحريرها:

بلدة زراعية وناحية منكوبة تقع على بعد ١٧٠ كيلومتراً تقريباً إلى الشمال من بغداد.

أحاطها داعش من أربع جهات، وفرض عليها حصاراً جائراً دام ثلاثة أشهر حتى شهر آب ٢٠١٤، استهدف المنازل والممتلكات الخاصة بالسكان، قطع الماء، منع دخول الغذاء إلى المنطقة.

نادى منادي جامع علي السجاد بمكبرات الصوت: أيّها الناس احضروا!

تسابق (٧٠٠) من الرجال الخُطَى، أبلغهم كبير القوم خطورة الموقف على الناحية وقرى القرناز والبرجولي والجردغلي.

في شهر رمضان الرجال في الليلِ والنهارِ يمتشقون سلاحاً قبلَ بزوقِ الصباح وأثناء منتصفِ الليل. صباحاً يتسابقون قبلَ شروقِ الشمسِ على صيدِ من ضاقت عليهم سبلُ الهداية وأطبقتْ سلاسلُ الشيطانِ على أفكارهم.

توحّدوا وتعاهدوا على النَّصر أو الشهادة، وعملوا أَربعة سواتر كخطوط دفاعية لمواجهة إرهابيي التنظيم.

أمّا النساء التركمانيات فقد أبلينَ بلاءً حسناً، ومع الصعوبات وخطورة المواجهة تولَّت كل سيدة مع عبء الطبخ التقليدي على الحطب وجلب الماء، دعمنَ الرجال والأبناء، وحثَّهم على القتال.

دعت امرأةٌ تركمانية بعض أَصدقاء أولادها لتناول وجبة الفطور على حساء الفاصوليا، كانت تطبخها، فسقط خمسة قذائف هاون على البيت إحداها في المطبخ، وسقطت قذيفة أخرى على خزان الماء، وسال الماء، وانطفأت النار.

كانت الشمس تغمس أطراف أشعّتها الدافئة، في دموع قادة النصر المتواجدين في الجبل المجاور لمنطقة آمرلي، اصطحب المهندس ٤٠٠ مجاهد من الحشد الشعبي مدججين بسلاحهم وعجلاتهم، دخل إليها عن طريق مندلي، التحموا مع العدو بداية شهر الثامن ٢٠١٤، كبدوا داعش خسائرَ جسيمة.

أَمر الحاج أَبو مهدي المهندس طيران الجيش أَثناء الحصار إخلاء الأَطفال، وتزويد المحاصرين بالغذاء والدواء، ونقل الأسلحة والأعتدة للمقاتلين، وبلغت عدد طلعات الطيران العراقي ٧٣٠ طلعة.

بقيادة المهندس فتح الحصار عن آمرلي، سرَّ قلوب أَهاليها بالنصر، وضع قبلته على خدود الأطفال، أثنى على صمود أَهلها..

***

غُدَّة تستنزف الشهداء:

ناحية تبعد حوالي ٦٠ كم جنوب غرب بغداد أُسِّسَتْ عام ١٩٢٥، المنطقة تابعة إلى قضاء المسيب ومحافظة بابل، تبلغ مساحتها ٢٨٣ كيلومتر مربع.

منطقة ضيقة عصية على القوات الأمنية المسلحة من عام ٢٠٠٣-٢٠١٤.

عناصر تنظيم داعش لم يجعلوا فيها أية قيمة إلى الإنسان الزائر المتجهة لزيارة ضريح الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدسة.

نحروا الأطفال والرجال، اغتصبوا النساء وقتلوهن، أصبحت منطقة جرف الصخر مقبرة الزائرين طوال الأعوام المنصرمة.

دخلت القوات المسلحة لتحريرها عدَّة مرات وباءت محاولاتها بالفشل.

انصبَّ تفكير الحاجين القائدين إلى ولادة هذه المنطقة من جديد، دخلها أبو مهدي وقاسم سليماني يوم الجمعة، فوقف المهندس على أرضها، ونطق قائلاً:

جرف الصخر هذه منطقة قديمة.. وهي منذ عشر سنوات تهدد كل كربلاء وتمنع الزوار، هاهنا قتل آلاف الزائرين عشرات الآلاف أو عشرين لا أعلم، اغتصبت كثير من النساء هنا، منطقة إرهاب لمدة عشر سنوات كاملة بيد الإرهابيين، والآن نقوم بتنظيفها، وحققنا مكاسبَ وأَهدافاً، سنطهرها خلال يومين إن شاء الله.

وضعوا خطّةَ اقتحامها من ثلاثة محاور رئيسة، بدأت من الفاضلية المشرفة على عامرية الفلوجة، وأوعز المهندس بتعاضد مع الجيش العراقي كتفاً إلى كتف من منتسبي مكافحة الإرهاب والشرطة الاتحادية وبإسناد من طيران الجيش.

اضطرب داعش وأغرق المساحة بينه وبين القوات العراقية بالمياه، هذا لم يثنِ تقدم القطعات نحوهم، فأسقطوا الصواريخ والمدافع على رؤوسهم كزخات المطر.

رصدوا أماكن اختبائهم، كبَّدوهم خسائر كبيرة.

نوَّه العدو عن هروبه بتفخيخ المنازل بالمتفجرات والشوارع بالعبوات، وهرب بعضهم إلى حدود منطقة الفارسية.

نقلت استخبارات الحشد أوامرها من أَبي مهدي ببثِّ إشاعة إلى الأَهالي العزل بعدم قصف وسط منطقة الفارسية، وأخبروا مصادرهم في المنطقة بلجوء العوائل إليها.

وأَبلغ طيران الجيش بإخلائهم إلى مدينة الحلة.

كانت قوات الاحتلال تنظر، ولم تتدخل في التحرير أو مساعدة القوات العراقية.

تقدَّم الحشد برفقة القوات الأَمنية إلى منطقة العبد ومناطق حجير وروعيه. تم إعلان النصر والتحرير، وتغيير اسم (جرف الصخر) إلى (جرف النصر).

***

سقوط مخمور وتهديد أَربيل:

منطقةٌ متنازع عليها بين الحكومة العراقية وحكومة إقليم كردستان، وهي فاصلة بين الموصل التي تبعد عنها ١٠٠ كيلومتر وعن أربيل ٦٠ كيلومتر.

استغلَّ داعش عدم التنسيق الأَمني بين الحكومتين وسقطت بيده المنطقة بالكامل بتاريخ ٢٠١٤/٨/٥، استقرت عناصر التنظيم الإرهابي في جبل قرجوغ.

استمر العدو بشنّ هجماته الصاروخية على أربيل استعدادا لاحتلال الإقليم.

ما سبب عدم تدخل وحماية الامريكان لهذه المحافظة؟!!

***

تحرير الفلوجة:

انصبَّ تفكير الحاج أَبي مهدي بالتحرير وإنقاذ المدنيين المنكوبين، والمحافظة على أرواح المقاتلين من القوات الأَمنية العراقية مع مواجهة مؤامرة واشنطن التي تهدف إلى تقطيع أَوصال مشاركة المهندس والحشد الشعبي في هذه العمليات.

يتحسّس معاناة المدنيين داخل المدينة، تابعت حواسّه كل ما يجري حوله، عيناه تلتقطان مشاهد سطوة داعش على المنطقة،

ويتحسس معاناة المدنيين داخل المدينة كأَنَّهم ذبيحة، كرماً لعيون دامعة على أطلال وطن سليب أَبت القلوب أَن تغادره، فبقي في أَذهان أَهليه وقلوبهم مشرقاً للشمس.

ينظر في عيون أَبطال القوات الأَمنية ويرى قاسماً مشتركاً بينهم والحشد والمدنيين كتب على ملامح وجوههم هوية توحّدُ في تفاصيلها شعباً وطنياً طعن في خاصرته في لحظة واحدة من الخلف.

قال المهندس للصحافيين: «نحن الآن على أبواب الفلوجة المحاصرة من كل جهة، وسيبقى الحشد الشعبي داعماً للقوات العراقية التي تنشغل حالياً بعملية التحرير داخل المدينة، وإذا احتاجت لمساندة من الحشد فإنَّنا سنقدم المساعدة وحتى الدخول إلى داخل الفلوجة إذا طلب منَّا ذلك».

توزعت القوات الأمنية العراقية على جميع مناطق الفلوجة، ويساندها الحشد الشعبي ويشرف على عملياتها.

نطق أبو مهدي المهندس بداية العلميات قائلاً: «نبارك لكم هذا اليوم ١٥ من شعبان، وسنقوم بعد ساعات بعملية تحرير كل مناطق الفلوجة: الكرمة والصقلاوية والفلوجة هذه المنطقة التي سقطت منذ سنتين ونصف التي تعد رمزاً وقاعدة للإرهاب إن شاء الله من خلال هذه العمليات وبعزم الشباب في الحشد الشعبي والجيش بكل صنوفه والشرطة الاتحادية، وبعون الله تعالى نستطيع أن نحرر هذه المنطقة لنعيد

الأمن والأمان إلى بغداد.

علمنا أنَّنا نرتب حالياً للعوائل الآمنة وهناك حديث عن العوائل، فالجيش أَنزل منشورات وإن شاء الله لن يتضرر أَحد في هذه العمليات فنحن جئنا لهؤلاء الناس أهلنا وعشائرنا في هذه المنطقة وإن شاء الله نوفر أَماكن آمنة».

وأَعلن المهندس لتجمّع من الصحافيين قرب مناطق القتال في محيط الفلوجة: «إنّ الحشد الشعبي شريك أساسي في تحرير المدينة من داعش».

تذبذب موقف واشنطن كالعادة، ارتجفت من شجاعة المهندس، حاولت تغيير الموقف البطولي لنائب رئيس هيئة الحشد الشعبي لأَنَّه يعمل لصالح توطيد نفوذ الجمهورية الإسلامية الإيرانية في العراق.

أثناء انشغال الحاج أَبي مهدي في تحرير الفلوجة نُشِرَ تقريرٌ أمريكي يتحدث عن قلق واشنطن من قيادة المهندس لهذا التحرير كما تبدي اعتراضها على دور الحشد الشعبي في معركة الفلّوجة.

نص تقرير صحيفة "وول ستريت جورنال" الأميركية: «إنّ صعود نائب قائد الحشد الشعبي يعكس الحقائق الجديدة التي تواجهها الحكومة الأميركية في العراق بعد انسحاب عشرات الآلاف من الجنود منذ أكثر من أربع سنوات؛ إذ أن وكلاء إيران الذين شكَّلوا يوماً ما الخطر الأكبر على القوات الأميركية أصبحوا شركاء في قتال داعش».

وذكرت تلك الصحيفة تعليق الناطق باسم قوات التحالف الدولي ستيف وارن على دور المهندس في القتال ضد داعش بالقول: «إنه إرهابي. هكذا نراه.. لكنه هناك، لذلك يجب أن يحسب له حساب!».

رد المهندس على هذا التقرير قائلاً: «نحن نعمل حالياً على إنهاء وجود داعش في الفلوجة بشكل تام، والذهاب إلى أي منطقة ترتبط بداعش.. الموصل والحويجة هما الوجهتان المستقبليتان ولن يمنعنا أحد من الذهاب لتحرير هذه المناطق».

وأكَّد حول عملية تحرير الفلوجة بقوله: «مهمّتنا لن تكتمل إلا بعد إنجاز جميع الواجبات المنوطة بالحشد ضمن خطة التحرير، ونحن سنبقى نساند القوات العراقية في الفلوجة فإن تمكّنت بسرعة من تحريرها من داعش نساندها، وإن لم تتمكن من عملية التحرير سندخل مع القوات العراقية إلى مركز المدينة».

وأردف: «نحن كحشد شعبي لم ولن نطلب من قوات التحالف الدولي أي مساعدة أو إسناد منذ البداية وحتى الآن. ونحن متطوعون للقتال، نرتبط بالدولة والحكومة العراقية، ولا نشعر بالحاجة إلى قوات التحالف».

لقد كانت مشاركة التحالف الدولي في هذه العملية بسبع ضربات جوية لا غير، بينما قام طيران الجيش العراقي بقصف عشرات الأهداف في المدينة بطائرات حربية طراز "اف-١٦"، كما طلب المهندس من

قيادة العمليات المشتركة دعوة السكان للخروج عبر طرق مؤمنة، ودعا جميع الأسر إلى الابتعاد عن مقرات عصابات داعش وتجمعاتها.

وأنقذ الحشد الشعبي عشرات العائلات النازحة من قضاء الفلوجة وتعامل مع العائلات وفق تعاليم الدين الحنيف وتوصيات المرجعية الدينية العليا الصادرة عن آية الله العظمى سماحة الإمام السيد علي الحسيني السيستاني.

استمرّت العمليات وتقدّمت قوات جهاز مكافحة الإرهاب والشرطة الاتحادية والجيش نحوَ منطقتي الشهداء وجبيل جنوبي المدينة بدعم من طيران الجيش والقوة الجوية، وصرّح المهندس: «إن المرحلة الثانية من عملية تحرير الفلوجة انتهت بتحرير الصقلاوية»، مضيفاً في مؤتمر صحفي بمقر قيادة الحشد بالفلوجة: «إنَّ تلك القوات حققت جميع الأهداف الموكلة إليها وإنَّ تحرير مركز الفلوجة أوكل للقوات الأمنية وجهاز مكافحة الإرهاب».

وكشف الحاج أبو مهدي عن وجود مدنيين في الفلوجة بحاجة إلى: «تضافر جهود عسكرية واجتماعية ودينية لإجلائهم» كاشفاً عن أَنَّ عدد الموجودين من عناصر داعش في الفلوجة يقدر بـ٢٥٠٠ مقاتلاً، عشرة في المائة منهم من الأجانب.

وكان نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي يؤكد دائماً: أنَّ الحشد الشعبي لم ولن يطلب كحشد شعبي المساعدة أو التدخل من قوات

التحالف في عمليات تحرير الفلوجة، فإنَّه لن يكون بمقدور أحد منع قوات الحشد الشعبي من الذهاب إلى الموصل أو الحويجة متعهداً بملاحقة "داعش" حتى خارج العراق و"القضاء عليه نهائياً".

وأعلن بعد انتهاء المرحلة الثانية من معركة تحرير مدينة الفلوجة العراقية: إنَّ الحشد الشعبي أنهى المهمة التي أوكلت له، وهي تحرير الكرمة والصقلاوية وآلبو شجل، مشيراً أنَّ هذه العملية جرت بالتعاون مع قوات الرد السريع والشرطة الاتحادية وطيران الجيش العراقي.

وبذلك حرّر قائد النصر ٤٧ قرية ضمن عمليات الفلوجة، قائلاً: «كنَّا نمسك بخط دفاعي يصل إلى حدود ٩٠ كم، اليوم تقلص وأصبحنا نحيط بمدينة الفلوجة من كل الجهات، وانتهى ترابطها بكل المحافظات، وأصبحت محاصرة، عدا جهتها المحاذية لنهر الفرات التي من المحتمل أن يتسلّلوا منها سباحة، وسيتم تحرير ضفة الفرات خلال الأيام القادمة».

ختم المهندس كلامه بعد أيام من التحرير بخطاب: يوم ٢٠ شهر رمضان تم تحرير الفلوجة هذه المدينة التي صادرها الداعشيون منذ سنتين ونصف تم تحريرها بشكل نهائي بجهود القوات المسلحة الجيش والشرطة الاتحادية البطلة والرد السريع والحشد الشعبي، بدأت العمليات من يوم ١٥ شعبان تمت بخطتين حسب الأوامر العامة لقيادة القوات المسلحة، الأولى: هي التطويق وتم التطويق لمدة ١١ يوم، ثم انتظار القوات العسكرية والأمنية أن تطهر المدينة، وتدخلنا منذ البداية لإسناد

هذه القوات بكل ما نملك من إمكانيات الهندسة والطبابة وغيرها، ثم اشتركنا اشتراكاً فعلياً بعد دخول الفلوجة.

وتحدّث بعد التحرير في لقاء متلفز قائلاً: نهدي هذا التحرير إلى عوائل الشهداء بفضل هذه العوائل، بفضل دماء الشهداء والجرحى، بفضل كرم العراقيين في إرسال أبنائهم للدفاع في الشرطة والجيش والحشد، بفضل مرجعيتنا الرشيدة وفتواها بالجهاد وكل الذين ساندوا هذه العمليات، الدولة الكريمة في إسناد العمليات تم تحرير الفلوجة، وهي أصعب نقطة في العراق، وليرجع العراق بسنته وشيعته وكرده وتركمانه ومسيحيه وإيزيديه وبقية الأقليات لينعم بالأمن والسلام فهذه الحرب هدفها إشاعة السلام والأمن، وبالحوار والتفاهم والعيش المشترك وبالقضاء على الأمراض وأخطر الأمراض داعش والبعث، ولن نسمح بعودة داعش والبعث مرة أخرى في أرض الفلوجة أو على أية بقعة من أراضي العراق.

***

الموصل عاصمة داعش:

استغلت داعش عدم استقرار الجيوسياسي في العراق والاضطراب الذي صنعته في سوريا من أتباعها، فاحتلت الموصل في تموز ٢٠١٤.

وأعلن هذا التنظيم الإرهابي من خلال مكبرات صوت جامع النوري الكبير في المدينة بإقامة خلافة إسلامية في العراق، وبويع أَبو

بكر البغدادي خليفةً. وأَصبحت مدينة الموصل عاصمة خلافتها المزعومة.

قال الحاج أَبو مهدي المهندس في حديث متلفز: «نحن في الموصل لا نحمي العملية السياسية فحسب، إنَّما نحمي مكونات المجتمع، يجب إيقاف عملية الانتقام بين اليزيدي والسني والشيعي والمسيحي والمحافظة على الاستقرار والحفظ على الأَمن».

تعثرت العمليات العسكرية، ظهرت مبالغات في تحرير الموصل ذات المساحة الواسعة.

أدرك قادة النصر منذ البداية صعوبة عمليات التحرير، وحاجتهم الملحة كانت الوقت والجهد وحصار بسبب تعقيد المساحة الجغرافية، ووجود سكان بعدد كبير في المنطقة.

وضعت خطة لتحرير الموصل بمساعدة الأمريكان والتحالف الدولي تهدف إلى بدأ العلميات بالجانب الشرقي أو ما يسمى بالجانب الأَيسر من الموصل، وهذا الجانب فيه أَحياء سكنية واسعة وطرقها معقولة وهو مختلف عن الجانب الآخر (المنطقة التاريخية).

كانت واشنطن متفائلة بإزاحة داعش من المنطقة، وتوقيت العمليات متزامن مع الانتخابات الأمريكية، فهل يا ترى كان الأمريكان يوقتون العمليات في العراق بحسب ظروفهم الداخلية، وتحديداً في الانتخابات الرئاسية أو حسب ظروفهم الإقليمية؟

إنَّ الحاج أَبا مهدي المهندس كان يعرف سياسة الأمريكان واستراتيجيتهم لما يخدم بلادهم، لذلك لم يُفاجأ بعد الانتخابات الأمريكية بطلبهم من قيادة العمليات بعدم وجود مبرر لاستعجال العمليات.

وعلى إثر ذلك أخبر نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي دولة رئيس الوزراء العراقي بأنه لا حاجة لوجود الدعم الأمريكي على الأرض ويعتقد أَنَّ الأمريكان غير جادين.

وموقف الأمريكان هذا ليس بالجديد، بل كانت الحكومة السابقة قد طلبت منهم التدخل رسمياً بدعم الجيش العراقي في مواجهة داعش قبل تشكيل الحشد غير أَنَّ الجانب الأمريكي لم يتدخل لا في بغداد ولا حتى في أربيل عندما سقطت مخمور في ٢٠١٤/٨/٥، بل سحبوا الشركة القائمة على تصليح الدبابات ومنعوا وصول الأَعتدة.

ولكن الموقف النبيل والشريف كان إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية في كل الأحداث وعمليات التحرير.

والسؤال الذي يفرض نفسه، هل كان الأمريكان يستثمرون وجود داعش في العراق؟

ركز المهندس وأَمر قادة الحشد في كل عمليات التحرير على أَن يصطحبوا معهم الجيش أو الشرطة الاتحادية، فتحرَّك الحشد نحو سوريا لتطويق الموصل ضمن خطة قيادة العلميات العراقية المشتركة بإمضاء

القائد العام للقوات المسلحة العراقية.

ولا زالت الخطة من أجل إزاحة داعش من الجانب الأيسر إلى الجانب الأيمن، وتحدَّدت عمليات الحشد وطلب منهم التباطؤ بالتقدم لغرض انسحاب داعش إلى الجانب المذكور حسب تصور الأمريكان كما نقلت وكالات المشتركة بأنَّ داعش سينسحب من الجانب الغربي باتجاه تل عبطة إلى سوريا.

قام الحشد بعملية عسكرية لمدة أسبوعين بمسك الطريق من بيجي حتى الكياره. تقدموا بعدها، وأثناء التقدم لم تكن نيتهم التباطؤ؛ لذلك تقدموا وأغلقوا المنطقة بشكل كامل بالاتفاق مع القيادة العامة للقوات المسلحة.

بقيادة المهندس حرر الحشد نحو ٣ آلاف كيلومتر مربع. وقام المهندس وسليماني بتغيير الخطة التي لم يعلن بضمنها التقدم بالاتجاه الغربي من الموصل، فتفاجأ الجميع بغلق الموصل عن تلعفر عن كل مناطق العراق وعن سوريا.

وأوكلت القيادة العامة للقوات المسلحة العراقية هذه المهمة التي لم يدخلها الجيش العراقي منذ سنة ٢٠٠٣ إلى الحشد وبسبب إمكانياته في الجهد الهندسي الكبير والاستخبارات القوية جداً والحركة والمناورة العالية استطاعوا التقدم والوصول إلى مئات الكيلو مترات.

وما يدور في ذهنية الحاج أبي مهدي الحقائق التي لا تدعو إلى

التفاؤل، فالموصل قضية معقدة وتحتاج إلى وقت طويل، هناك أَكثر من مليون شخص فيها، مدينة قديمة ذات شوارع ضيقة، وأَزقة، تحتاج إلى جهد وسياسة عسكرية غير الخطط المطروحة، والجانب الأَيمن لم يتقدم له الجيش العراقي.

وكانت الشرطة الاتحادية والحشد الشعبي تقدمت نحو الهدف وتبعد عنه ١٠ كيلومتر، وفي الوقت نفسه كل الجهد والقوة كانت في الجانب الأيسر.

وجَّه المهندس النداء إلى كافة القطعات والتشكيلات عبر اللاسلكي قائلاً: «بسم الله الرحمن الرحيم نبدأ الآن الصفحة الثانية من عمليات محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، توكلوا على الله وتقدموا... يا فاطمة الزهراء... يا فاطمة الزهراء».

طفحَ سواد أسفل العينين على وجنتي أبي مهدي المهندس، لقلَّة نومه الذي لا يتعدى ساعتين على الأَرض في اليوم، لا يهدأ وهمُّهُ وسؤاله: هل أَكل وشرب المجاهدون، يتجوَّل في خطوط الصدِّ الأَمامية ويأكل من طعام المقاتلين.

رحبتْ به سرية من سرايا الحشد الشعبي فارتجل قائلاً: «بسم الله الرحمن الرحيم.. السلام عليك يا سيدي يا أبا عبد الله، في هذه الأرض أرض الجهاد واقعاً نشعر بالارتياح الكبير عندما نزور هذه الثلة المؤمنة المجاهدة الواقفة على هذا الساتر منذ صدور هذه الفتوى العظيمة فتوى

سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني.

والحمد والشكر لله انطلقنا للدفاع من بغداد ومن كربلاء والنجف والمحافظات الجنوبية ومن السماوة هذه المدينة العظيمة التي لَبَّت نداء المرجعية في ثورة العشرين، وكانت هي الذراع المسلح لمرجعيتنا الرشيدة في ذلك الوقت. واليوم تلبي كما لَبَّت سابقاً هذا النداء بسادتها وعشائرها بأَهل الرميثة وعموم أهل السماوة بمختلف عشائرهم وأَشخاصهم لبّوا هذا النداء، واليوم أَنتم تقفون في هذا الساتر وأَمام جبل سنجار لتحرير سنجار وتحرير تلعفر وتحرير الموصل، جزاكم الله ألف خير والله يوفقكم وأنتم جنباً إلى جنب مع أخوتكم في هذا الساتر وفي كل السواتر وفي كل الأَماكن.. اليوم الأخوة بدأوا عمليات تحرير غرب الموصل وإن شاء الله سنُتمُّ تحرير هذه المنطقة بأَسرع ما يمكن، ويتم تحرير وتطهير كامل أرض العراق من الدواعش، الدواعش بمختلف وجوههم العسكرية والأمنية وغيرها. الله يوفقكم ويسددكم ويتقبل أَعمالكم، وإن شاء الله يبقينا محشورين معكم في الدنيا ويحشرنا معكم في الآخرة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وضع قبلة شفتيه على خدود جميع المجاهدين، وصل إلى المقاتل (سلام) سأله: ما بها يدك؟

ردَّ سلام: مكسورة.

أردف الحاج: مكسورة وتقف في الساتر!!

استمرَّ يلاطف المجاهدين ويسألهم عن عشيرتهم، ويناقشهم باهتماماتهم.

وصل إلى قوة أخرى، وقال لقائد القوة يلاطفه: كنت في السابق أتحرش بسيد واحد الآن ظهرت عشيرة سادة. وضحك الجميع..

قام القائد بشرح عملهم، فعملوا الشق على طوال المحور، ويردد لسان الحاج: لطيف.. لطيف.

قدم بعض المقاتلين يسلمون عليه، وهو يقول: كلكم سادة، وقال باللغة الدارجة: أنتم تشورون.

ودع الجميع وقاد السيارة الحوضية متجهاً إلى السواتر الأخرى..

مضى يوم واحد على تحرير غربي الموصل، وتحررت منطقة الجرن، واستمرت عمليات التحرير في المناطق الأخرى من الموصل.

وفي لقاء متلفز بتاريخ ٢٠١٧/٦/١٠م أعلن القائد الحاج انتهاء المرحلة الثانية من تحرير عمليات محمد رسول الله، متحدثاً بلسانه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى الله على محمَّد وآله الطيبين الطاهرين

أعلن انتهاء المرحلة الثانية من تحرير عمليات محمَّد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله.

تم فجر هذا اليوم من انتهاء العمليات، وبذلك انتهت هذه العمليات بنجاح باهر، وصلنا فيه إلى الحدود العراقية السورية.

أعطي إيجاز بشكل سريع متى بدأت هذه العمليات؟

كُلّفنا بالاشتراك بعمليات الموصل، وكلفنا مسك طريق بيجي الموصل عندما تقدمت قوّاتنا البطلة من الجيش والشرطة الاتحادية وقوات مكافحة الإرهاب منذ الأَشهر العشر الماضية عندما تقدمت من خط الصد في بيجي لتحرير مدينة الموصل، نحن كلفنا بمسك الطريق بيجي والموصل، وبدأنا التحضير للعمليات بمسك الطريق في المرحلة الأولى بتاريخ ٢٠١٦/٩/٢٥، وانتهت المرحلة في ٢٠١٦/١٠/٢٠ حررنا أَيمن الشرقاط و٦٥ قرية وتأمين طريق بيجي الموصل. هذه المرحلة الأولى للعمليات.

المرحلة الثانية بدأت في ٢٠١٦/١٠/٢٠ بدون فترة زمنية مباشرة، حضرنا للعمليات، وبدأنا في ٢٠١٦/١٠/٢٩، وانتهينا في ٢٠١٦/١١/٤، حرّرنا ١١٠٠ كليومتر مربع، ووصلنا من طريق الموصل إلى خط اللاين غرباً، وبتاريخ ٢٠١٦/١١/١٤ بدأنا مرحلة أخرى انتهت في ٢٠١٦/٢٣،١١ حررنا فيها ٣٤٠ كيلومتر مربع كتحرير مطار تلعفر مع ١١ قرية، وكان إنجاز كبير أن نصل إلى مطار تلعفر في تلك المدة.

بتاريخ ٢٠١٦/١١/٢٥ بدأنا المرحلة الرابعة لعملياتنا التي انتهت في ٢٠١٦/١٢/٨ حررنا فيها ١٥٠٠ كيلومتر مربع كتحرير ناحية تل عبطة، والسيطرة على طريق تلعفر باتجاه سوريا مع ٧٢ قرية، وكانت هناك قرية أثرية تسمى قرية أم قرون.

بتاريخ ٢٠١٦/٣/٤ انتهت في ٢٠١٧/٣/١٥ حررنا ناحية بادوش وتلال العطشانة و٢٥ قرية، هذا كان بالاشتراك مع جيشنا الباسل من الفرقة التاسعة الذي قطعنا فيه غرب الموصل.

بدأنا بعد فترة بتاريخ ٢٠١٧/٤/٢٥ كنا ننتظر أين نذهب ما بعد تحرير مطار تلعفر وغلق الطرق ما بين الموصل والأنبار إلى سوريا، وبعد قطع طريق بادوش غرب الموصل، انتظرنا فترة إلى أين نذهب؟ وما هي العمليات التي سنقوم بها؟

وبعدما طوّقنا مطار مدينة تلعفر بشكل كامل ٣٦٠ درجة صدرت الأوامر باتجاه تحرير مدينة الحضر وباتجاه الحدود العراقية السورية بدأت عملياتنا يوم ٤/٢٥ وانتهت في ٢٠١٧/٤/٢٧م وتحرّر فيها قضاء الحضر مع ٤٠ قرية ومدينة الحضر الأثرية ومخازن عتاد الحضر.

المرحلة الأخيرة التي أسميناها محمّد رسول الله، صلوات الله عليه وآله وسلم، الثانية:

بدأت ٢٠١٧/٥/١٦ وانتهت في ٢٠١٧/٦/٩، حررنا فيها ٤٢٠٠ كيلومتر مربع كقضاء البعاج وناحيتي القيروان والقحطانية و٦٤ قرية ومطاري أثري والكراح والسيطرة على الحدود العراقية السورية لحدود ٥٠-٦٠ كيلومتر مربع، من جبل سنجار باتجاه الجنوب.

إجمالي نتائج عمليات نينوى:

من ٢٠١٦/٩/٢٥ إلى ٢٠١٧/٦/٩:

مساحة العمليات ١٤٠٠٠ كيلومتر مربع تم تحريرها، قتلى العدو إجمالاً بحدود ٢٠٠٠ شخص، وعدد القرى المحررة ٣٦٠ قرية، عدد النواحي ثلاث نواحٍ، عدد الأقضية قضاءان.

وهذه المنطقة أَساسية وحساسة، منطقة سقطت منها الموصل كانت معبراً أساسيّاً لداعش من تركيا إلى سوريا إلى العراق. من هنا سقطت الموصل ومن هنا سقطت مناطق كبيرة من صلاح الدين والرمادي، كانت قيادة العدو متمثّلة بأبي بكر البغدادي أَعطت أَهمية لمدينة بيجي وقاتلت في بيجي، واستطعنا تحريرها قبل هذه العمليات، قطعنا طرق مواصلات العدو وحصرناه في مدينة الموصل القديمة، وحصرناه بين تلعفر والموصل، وأنهينا كل قواعده التي تتصل بالموصل.

الآن نحن في طور لا أريد أَن أَتحدث عن أَهمية هذه المنطقة لكي لا أَطيل عليكم، أَنهينا هذه العمليات بنجاح بفضل دماء الشهداء، بفضل الجرحى، بفضل جهود المجاهدين وما قاموا به، الشكر الكبير لسماحة آية الله العظمى السيد السيستاني صاحب الفتوى الكبيرة الذي أطلقها ومنذ انطلاقها إلى اليوم استطاعت القوات الأمنية واستطاع المتطوّعون الذين انتموا في إطار الحشد الشعبي، استطاعوا كتفاً إلى كتف مع قوات الأمنية تحرير هذه المنطقة. الشكر الجزيل لهم.

الإجلال والانحناء والإكرام لشعبنا الذي بذل جهوداً كبيرةً في رفدنا بكل هؤلاء المقاتلين الشباب، لدينا اختصاصات عالية وشهادات

عالية وشباب مضحين.

الحشد منذ أَن بدأ عملياته في ٢٠١٤ ونحن في ذكرى فتوى سماحة السيد السيستاني الله يحفظه ويطيل في عمره الشريف.

من اليوم الأول الذي تقدمت فيه هذه القوات عندما ذهبت إلى طريق سامراء لتحريره وفك الحصار عن سامراء عند محافظتنا على قاعدتي بلد وتكريت ما تسمى بقاعدة سبايكر الشهيد التميمي، تحرير ٧ مطارات على الأقل لحد هذه اللحظة، وتحرير آلاف الكيلومترات المربعة، لم ننهزم في أية معركة تقدمنا فيها لحد هذه اللحظة.

***

صفاتُه في المعارك:

يتسابقُ في سُوح الوغى. تلفحُ وجهَهُ الشمسُ، وتذبلُ شفاهُهُ من شدة العطش، وعلى هديرِ أَزيز الرصاص وفرقعةِ القنابلِ فوقَ الرؤوس يحمل روحَهُ على كفَّيه، يحمل العمر كلَّه بين راحتيه، لا يذوق لقمة واحدة من الطعام إلا أكلها مع المجاهدين، نومه ساعتان باليوم، يفترش (بسيجيته) وينام على الأرض. يتقدم المقاتلين في الساتر الأمامي، تسطع قيادته المعارك كنور القمر والنجوم في منتصف الليل الدامس.

مبتسمٌ دائماً، دمثُ الأخلاق، متواضعٌ، تتناقل الألسنُ صفاته الطيبة وسجاياه الحميدة بلا كلل أو ملل، أليس هذا القائد كسيلِ ماءٍ في نهرٍ جارٍ تتغذّى منه الأجيالُ جيلاً بعد جيل؟

له في كل ركام الجبهات قصةٌ ورواية، في كل اشتباكٍ ألفُ حكاية. هي ليست أحلاماً وخيالاً في بقاع جغرافية العراق، بل واقعٌ، تحمل إلينا مشاهد الحقيقة.

ومن بين الحكايات البطولية له ثمَّة مشاهد إنسانية، إذ أولى أولوياته تحرير العوائل من الأسر والمعاناة وتقديم الاحتياجات الغذائية والطبية إليهم ونقلهم إلى مناطق آمنة وكأنَّهم أهله.

عند تحرير كلِّ بقعة يجلس بين الأطفال، يلاطفهم، ويسألهم عن الأسماء، عن طموحهم في المستقبل، فيحوّلُ مشاهد الرعب عندهم إلى استغاثة، يرى بعيونهم كأنهم ينطقون سرّاً: أنت قائد حماةُ الوطن يا أجمل صورة، فأنت من تريدنا أن نمارس الطفولة. داعش مسح الحياة عن الوجوه حيث قطفوا آلاف الأطفال قبل أن يينعوا فذبحوا طفولتهم.

***

ليست كل المعارك:

تهديد بغداد، معارك سامراء، الفلوجة، آمرلي، قاعدة سبايكر، مخمور، الموصل.. ما هي إلا نماذج وجزء بسيط من عدة جبهات شملت معارك في مناطق فرعية في محافظات عراقية مختلفة.

أوجزنا في التقاط صور لمواقف متنوعة للشهيد الحاج أبي مهدي المهندس قائداً لهذه المعارك وغيرها؛ لأنَّ تفاصيل المعارك وأَرشفتها مهمة مديريتي التوثيق والأعلام في هيأة الحشد الشعبي.

تمكنت قيادة الحاج أبو مهدي المهندس للحشد الشعبي خلال سنوات ثلاث من ٢٠١٤- ٢٠١٧ من الوصول بالحشد إلى مساحات محرَّرة واسعة تمتد إلى الأَراضي السورية.

يرى القائد الذي يعدُّ نفسه متطوّعاً في الحشد وليس قائداً، أنَّ مَنْ أَلهمَهُ العزم وشجَّعهُ هو فتوى المرجعية الدينية، فيقول: المحرك الأساسي للحشد هو الفتوى، الاستجابة العظيمة من الناس، والخبرة والعلم في تنظيم المتطوعين من الناس.

وبخبرته القيادية الجهادية استطاع أن ينشأ إدارة فورية لهيكلية الحشد وأصبحت كومبيوترية وإدارة أفراد: إدارة ميرة (لوجستية)، مديريات كالهندسة ودبابات، مقاومات دبابات، اتصالات مرتبطة بالمحافظات، طبابة، فكوّن هيأة نوعية، بكلف ومبالغ بسيطة قياساً بالعقود الطويلة للجيش والشرطة.

هذا غير وصفه لمقوّمات الانتصارات بكل تواضع وواقعية بدون مبالغة أو نسبة النصر للحشد فقط، إذ يقول: بالتعاون مع الجيش والقوة الجوية وطيران الجيش والشرطة الاتحادية ومكافحة الارهاب لم يخسر الحشد أية معركة أو ينسحب من معركة طوال التحرير، كما كان يذكر بأن الحشد الشعبي تحت أمر القيادة الحكومية والقائد العام للقوات المسلحة طوال عمله.

ويؤمن من ناحية شرعية وقانونية أن لا يتعدّى هذا الإطار والعمل

في ظله.. فيقول: لا يجوز لنا العمل دون ذلك.

وهناك مواقف كثيرة نرى فيها الحاج لا يتخطى أوامر الدولة أو الحكومة، فمثلاً: عندما طرح المهندس فكرة تسليح الحشد من روسيا وذهب وفد من الحشد الشعبي ممثلاً برئيس هيأة الحشد إلى موسكو للتفاهم حول الموضوع؛ سألوا المهندسَ، هل تقبلون تدخل روسيا للمساعدة في القضاء على داعش؟

رد: الموضوع يرتبط بالحكومة العراقية، لا نمانع إذا كانت الحكومة العراقية تقبل ذلك، ونعتقد الأرضية موجودة لذلك، وهناك تعاون في دخول روسيا إلى سوريا، فهناك تعاون سياسي وأكثر بين الحكومة العراقية وروسيا.

ومع إبداعات المهندس في التخطيط والعمليات النوعية، إلا أَنَّه سخَّر مقاتلي الحشد وإمكانيته وطاقاته لكل قوة أَمنية في المحافظات ويعمل معها مشتركاً.

ما يستشفّ من بعض أَقوال الشهيد الالتزام المطلق بفتوى آية الله العظمى المرجع الأعلى سماحة السيد علي الحسيني السيستاني (أدام الله ظله الوارف) بالانخراط ضمن صفوف القوات الأَمنية التابعة لنظام الدولة.

وكذلك التزامه بتوصيات سماحة قائد الثورة الإسلامية في إيران سماحة السيد علي الخامنئي (أدام الله ظله الوارف)، إذ أَوصى قادة النصر

الحاج قاسم سليماني والحاج أَبو مهدي المهندس بالتقيد والالتزام المطلق بكل ما يصدر من سماحة السيد السيستاني (حفظه الله). كيف لا وهو القائل عن فتوى الجهاد الكفائي بأنَّها (إلهام إلهي).

وهنا من الواجب سرد ما نعرفه من إنجازاته خلال معارك التحرير باختصار:

١- في الأَشهر الأولى من الفتوى أَوعز بشراء خمس طائرات، كون القوة الجوية العراقية كانت تعاني من عدم وجود طائرات قاذفة، ودفعت تكاليف الشراء من ميزانية طوارئ الحشد الشعبي.

٢- ذهب إلى أَربيل أثناء تهديدها من داعش وأَوعز بإرسال طائرات هليكوبتر مع العلاقة المتوترة بين الإقليم والحكومة العراقية في حينها.

٣- بقيادته تمَّ تحرير ما لا يقل عن مساحة خمس وعشرين ألف كيلومتر مربع.

٤- تحرير ٩٣٠ قرية، و٨ أقضية أَحدها الفلوجة والبعاج، و١٦ ناحية.

٥- تحرير ٧ مطارات مع حماية مطار بلد من السقوط، ومطار تكريت الذي يسمى الشهيد التميمي الذي كانت فيه مجزرة سبايكر.

٦- تحرير ٧ قواعد و٧ معسكرات.

٧- تحرير مدن مهمة كمدينة الحضر والناظم التقسيم الثرثار.

٨- عام ٢٠١٤ حل مشاكل وتحرير بلد وسامراء وآمرلي وجسر الزركة وجرف الصخر والسعدية وسيلمان بيك والعظيم ويثرب والضلوعية والإسحاقي والمعتصم مع ٢٦٠ قرية. ومعسكر كوبرا ومطار الضلوعية.

٩- عام ٢٠١٥ تحرير مساحة عشرة آلاف كيلومتر، والمقدادية، بيجي، الثرثار، صلاح الدين شرقه وغربه، العلم، دور مدينة تكريت شرقها، وبعد ثمانية أَشهر تحررت المدينة. ومكيشيفة والعوجة والصينية، وبلغ عدد القرى المحررة ١٢٥ قرية مع تثبيت مطار تكريت وحقول عجيل والعلاس والحفاظ على جامعة تكريت، مستشفى العوجة، مصفى بيجي وقاعدة الصينية ومعمل الأَسمدة ومنشأة المثنى.

١٠- عام ٢٠١٦ تحررت جزيرة سامراء، والفلوجة بأَقل من شهر، والكرمة، والصقلاوية، والخالدية، ومساحة تقدر سبعة آلاف كيلومتر، و٢٨١ قرية، ومطار سامراء الغربي، ومعمل الاسمنت، والحراريات وغيرها.

١١- عام ٢٠١٧ بقيادة المهندس تم مسك الشارع من بيجي إلى القيارة، وتحرير خمسة عشر أَلف كيلومتر مربع، والبعاج، والقيروان، وبادوش، وتل عبطة، والقحطانية، والمجمعات الإيزيدية الخمسة، والمجمعات الأَربعة، ومجمعات الحمدانية، والجغيفي، وغيرها. وتحرير ٢٨٠ قرية، ومطار تلعفر، وثرية كراع، ومدينة الحضر الأثرية.

عمل المهندس بعقلية ملؤها الإيمان والحكمة ومخافة الله سبحانه وتعالى تسبق ذلك، إذ منذ انطلاق الفتوى كان حريصاً على أَن لا تُهدر أَموالُ البلد بدون فائدة، فكان يجادل مكتب رئاسة الوزراء في المبالغ المصروفة، فعندما جلب الجهاز الهندسي المركزي كان يستلزم شراء الآليات، مثلا تخصص لشراء كل شفل ٣٠٠ ألف دولار، يقول لهم الحاج أبو مهدي: سأشتري أربعة أو خمسة شفلات مستعملة بهذا المبلغ.

لهذا كان الحشد يمتلك أَلف آلية هندسية ويدخل بها الجبال والوديان، كون حركته مع العدو كانت حركة الالتفاف ومناورة. هذا غير أَنَّ الحاج أنشأ ثمان مستشفيات ميدانية في الموصل فقط.

وقال المهندس عن الانتصارات: كل الانتصارات في المعارك بفضل الفتوى ودماء الشهداء والجرحى.

***

الحشد الشعبي على لسان الحاج أبي مهدي المهندس:

كان يردد دائماً (الحشد هو الناس).

ويصرح قائلاً: الحشد هو الناس ولا أحد له فضل فيه، الحشد هو الفتوى الشرعية، الحشد جهد الناس.

ويردف: الجيش فخر، والشرطة فخر، ومكافحة الإرهاب فخر، وطيران الجيش فخر، لكن الحشد حركة مرجعية، وحركة أمة يجب أن نفتخر بها، وكلّ من يدعي أَنَّه صاحب الحشد مخطئ، كانت هناك أدوار

للأحزاب أو فصيل مقاومة سواء كانوا أفراد قياديين بالحشد الشعبي أو غير ذلك: لهم الحق أن يفخروا بالحشد ويتحدثوا عن أدوارهم.

والحقيقة الحشد تيار عارم وتيار أمة لم يستطع أَحد أن يأتي به، إنَّما من جلب الناس هو السيد السيستاني؛ فهو من إنشائه والحكومة لحقت نفسها ووضعت إطاراً في تسميته تدفع فيه رواتب للناس.

أما إمكانيات الحشد الشعبي منذ انبثاقه إلى اليوم هي إمكانيات أمة، والذي يواجه الحشد الشعبي اليوم يواجه فخراً وإنجازاً تاريخيّاً للعراقيين، إنجاز كإنجاز ثورة العشرين فالمرجعية أصدرت فتوى ونزلت الناس إلى الجهاد في عام ١٩١٤.

وتصدى السيد الحبوبي وبعض المراجع بفتواهم الجهادية إلى ١٩١٧ لحين دخول الإنكليز إلى بغداد. وأخيراً بغداد احتلت من الانكليز.

وعام ١٩٢٠ كان الجهاد انتهى بتسفير بعض المراجع، وأبعدت المرجعية، وضربت الطائفة منذ ذلك التاريخ إلى ٢٠٠٣.

في عام ٢٠١٤ عندما صدرت الفتوى كان في حينها آخر إطلاقة لدينا هي فتوى المرجعية وأن لا تسقط إلى الأرض، وكان كل الجهد العام ينصب في ذلك.

والناس لم يخيبوا ظن المرجعية، أئمة استشهدوا بسبب تفرق الناس، هنا الناس لم تتخلَّ عن مرجعيتها، وهي من مسكت هذا الجهاز.

هذا الجهاز هو فخر الأمة، فالناس لديها شهيد وشهيدان وثلاثة

وأربعة، ولا زالوا يقدمون.

الناس هي من تزاحمنا في الطرقات الترابية، تقدّم أكلاً مطبوخاً، يأتون بدبابة قديمة أو مدرعة من الجيش العراقي السابق، وقاموا بتصليحها ليقدّموها، واليوم بذلك نحن نمشي ونقاتل. ولا نمشي بصفقات هائلة تأتينا من المريخ.

ونطق في لقاء: الحشد الشعبي يضم جميع الألوان ايزيديين، شيعة، سنة، تركمان، مسيح، شبك، وهكذا من مكونات المجتمع العراقي.

***

رأي المهندس بدخول الحشد الشعبي في السياسة:

على حدِّ قول الحاج: الحشد الشعبي ضمن المنظومة الأمنية والعسكرية للبلد، ويجب أن لا يتدخل بالعمل السياسي، ويجب أَن يحفظ العملية السياسية التي تريدها الأمة.

أَمَّا الأَحزاب فهي بالسلطة ومن ضمن الحشد الشعبي وجزاهم الله خيراً بذلوا جهداً، لكنهم الآن في السلطة، ولهم عشرة نواب وأكثر، وبعض فصائل المقاومة لديها تاريخ في مقاومة الاحتلال، وتاريخ في الجهاد، وأيضاً ساهموا بالحشد مساهمة فعالة، ولكنهم ذهبوا وسجلوا كياناً انتخابيّاً، وهذا عملهم وليس عملنا.

ولكن الحشد الشعبي كمنظومة وهيأة يجب أَن يكون بعيداً عن السياسة، ويحفظ العملية السياسية ويكون حامياً لها.

وأَردف في قول آخر: الحشد الشعبي يجب أَن يبقى حامياً للعملية السياسية التي يريدها الناس، وأن لا يتدخل في الصراع والتنافس الانتخابي.

أَمَّا الأحزاب التي سندت هذا الحشد أو الفصائل التي سندت هذا الحشد وفتحت وسجلت ككيان فما علاقة الحشد الشعبي بذلك؟

وفي إحدى الاجتماعات مع قادة الحشد الشعبي تحدَّث قائلاً:

الحشد الشعبي ظاهرة شعبية مرتبطة بالحكومة، والأصل هو المواطن، كيف نؤمن عدم ارتباك المواطن، لا يرتجف عندما يرانا، لا يخاف، لا يرتعب.

استغلال اسم الحشد الشعبي لأغراض سياسية أو اقتصادية هذا تحدٍّ داخلي حقيقي، مثلاً نرى شخصاً يأتي في مناقصة أو موضوع معين، ويضع المسدس في إحدى جهتيه، ويقول: (أنا حشد).

عندما يلقى القبض على هكذا شخص ونسأله لماذا فعلت ذلك؟ يقول أنا ليس من الحشد، أنا من الحزب الفلاني.

نقول لهم: من بنى الحشد هم الأحزاب والفصائل والعتبات المقدسة وغيرهم، فهؤلاء ساهموا وعموم الناس.

إننا مع جهد يكون للفقراء، نعمل بجهد شعبي مع إمكانياتنا نحل بها مشاكل الناس.

أعتقد أن نبذل جهداً عالياً لخدمات الناس لسد الثغرات، فقلقي

أن نبقى جهة سالمة وسليمة معافاة لا سلبيات في الوضع الخارجي، وهذا تحدٍّ حقيقي.

نحن مثَّلنا الفتوى الدينية والتأييد الشعبي والحكومة.

وأوضح موضوع أصل الحشد الشعبي ومهمته، وكيف هو مؤسسة أمنية تابعة للحكومة قائلاً: أصل موضوع الحشد الشعبي هو الحاجة العسكرية والأمنية وداعش عسكرياً وآمنين لم ينتهِ في العراق، هناك خوف وقلق بعودة داعش بشكل آخر كما رجعت القاعدة بشكل داعش.

كان عندنا حزب البعث، ثمَّ تحوَّل إلى القاعدة، ثم تحوَّل إلى داعش، وغير معلوم ماذا سيكون.

لذلك يجب أن نعد العدة له، ولهذا لدينا في الحشد الشعبي تهيأ بالإضافة إلى العسكري عندنا الأمني لمواجهة أشكال داعش بالتنسيق مع بقية القوى الأمنية والعسكرية في العراق.

***

قضاء إجازته:

يغيب عن عائلته شهرين متتاليين، يكتفي بالاتصال بالهاتف..

عند عودته من جبهات القتال يقسّم وقته بين أسرته وكل صاحب نصيب من صلة الأرحام والأصدقاء.

يتردد على أَخيه الأَكبر (أَبو فراس)، فيستعير من مكتبته المتواضعة

بعض الكتب ككتاب مكارم الأخلاق وكتاب جواهر الأدب وجزء من نهج البلاغة.

يقرأ القرآن الكريم في منزله، يطلع على تفسيره لعلماء الشيعة والسنة، كما يتابع خطباء المسلمين.

يزور أَعمامه وأَقرباءه في قرية خوز منطقة أَبي الخصيب، يحدّثونه بعوزهم، ويلوح أَحدهم بأَنْ يغدق عليه من أَموال البلد!

ردَّ عليه: احمد اللهَ عندك بيت!!، أنا لا أَمتلك بيتاً وأَسكن في إيجار، أَتريدني أَكون كصدام أَغدق على أَقربائي من مال الشعب؟

وأردف: كان أمير المؤمنين عليه السلام لا يعطي من بيت المال إلا للمستحقين.

الغريب أَغلب أعمامه وأَقربائه معاناتهم العوز المادي، فيا ترى ما هو سبب عدم توظيف أَحدهم أو يعطيه من مال الجهاد؟

كريم الشمائل، سخي مع المستحقين، المال العام عنده أَمانة، ينفق منه على جرحى الحشد ممن يحتاجون العلاج خارج العراق، يغدق على مجاهدي الحشد ممن يريدون الزواج أو يشترون منزل للسكن.

ذهب ذات مرة لزيارة صديقه المتعفف أَبي أَحمد الذي كان يعمل معه في الكويت، جلس سويعات، تحسَّس حاجته، وأَبصر الإحراج على ملامح وجهه، ودَّعه دون أَن يخبرهم بالعودة إليه.

وصل سوق المنطقة، اشترى سمكاً، وعاد إلى منزل أَبي أَحمد،

طرق الباب، فتح صديقه الباب، أعطاه السمك قائلاً له: أطهِه بالنار.

ولزيارة الجرحى نصيب في إجازته وأثناء العمل، يقبلهم في مواقع الجراح، يوصي بتلبية احتياجاتهم.

وكذلك لعوائل الشهداء نصيبٌ من الزيارات، وللشهداء تواصلٌ، يقف على قبورهم، يدعو لهم ويرجو الله أن يلحقه بهم.

تحدَّثَ إليَّ الدفان السيد العميدي في النجف الأشرف قائلا: كان الشهيد أَبو مهدي المهندس يأتي بين الحين والآخر إلى مقبرة اشتراها من ماله الخاص لتكون مقبرة لشهداء الحشد الشعبي، فيزور الشهداء، وفي آخر زيارة له نظر لمن معه وقال لهم: «أَيّها الأخوة سيدفننا هذا الرجل وأَنا أَوّلكم». وأَخذ السيد العميدي معه لمقبرته وقال له تدفنني في الوسط والجماعة حولي.

أَليس أَولياء الله يعيشون بسطاء، ويرحلون عن الدنيا عظماء؟

كرَّرت الدنيا عليه عرض كنوزها، إلا أَنَّه أبى واختار الزهد، وتأسَّى بعدالة أَمير المؤمنين عليه السلام والجهاد في سبيل الله تعالى.

الفصل الثالث

مواقف وحكايات

أوَّل لقاء في بغداد:

أواخر الشهر الثامن ٢٠١٤م؛ قدم الشيخ عشم سبهان الجبوريّ من محافظة صلاح الدين، كان على موعدٍ مع الحاج أبي مهدي المهندس.

تخيَّل الجبوري أَنَّ الحاج سيأتيه بموكبٍ كبيرٍ يضمّ عشرات السيّارات، يحدّث نفسه عن حساسيّة موقعه ومسؤوليّته تحتم ذلك.

يترقب، ينظر يميناً وشمالاً، طل عليه بسيّارة (كورولّا) وحيداً، دار في ذهنه سؤال: أين نحن منه؟

***

سيّارة مصفّحة:

استعدَّ لزيارة المجاهدين بجولة تفقدية إلى مدينة الشرقاط، جاءه الجبوري بسيارته، كلمه: أنا لا أصعد في سيّارة مصفّحة، أريد سيّارة عاديّة.

لبَّى طلبه، اتفق معه على تناول العشاء في مقر اللواء.

وصلوا، طلب مواد وجبة الطعام، تمتم الجبوري: ما يريد صنعه؟

عد الطعام بنفسه، عمل شطائر كثيرة، ذهب للسواتر الأمامية وزعها

على المجاهدين.

***

دعوة وليمة عشاء:

تم إعداد عدة أصناف من الطعام، إكراما وحبا للحاج المهندس، جلس، واستدار بوجه على صاحب الدعوة قائلا: لا يجوز أن نأكل هذا الطعام كلّه وكثير من الناس في حالة جوعٍ وحصار، وبعض الناس من إخواننا السنّة تحت سيطرة داعش لا يجدون شيئاً يأكلونه.

***

صلاة الظهيرة:

في غرب الموصل، حان الآن وقت الصلاة، كأنَّ القائد يلهج سرّاً ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾، أطرق مسامع الشيخ: شيخنا صلِّ بنا.

خشي الموت رنَّ مسامع المهندس قائلاً: حاج، العدو يستهدفنا بقنابر الهاون.

رد عليه: شيخنا هذا توفيق عظيم لنحظى بالاثنتين الصلاة والشهادة، ما أعظمها منزلة.

تذكّر الشيخ أصحاب الحسين عليه السلام، حدّثه: يوم العاشر من محرم وقفت جماعة تصدّ السهام عن الإمام وأصحابه ليكمل صلاته.

وأردف: هنا هاونات، كيف نصدها، هناك فارق بين زمن الإمام وهذا الزمن.

أجابه بسؤال: يا شيخ هل لديك مكان يحمينا في هذه الصحراء؟

- حاج توكل على الله.

حرك شفتيه بابتسامته الجميلة قائلاً: شيخنا إذا قدر وسقط علينا، فنحن في فوز عظيم.

أكملوا أداء الصلاة، انصرفوا، بعد هنيئة سقطت قنبرة هاون في مكانهم.

نظروا باتجاهها، التفت إلى الشيخ خاطبه: ألم أقل لك أنها أرزاق (الشهادة رزق).

***

على وشك الأَسر:

بدأت العمليات خرج مسرعاً من الباب الخلفي لمقر عمليات تل عبطة، ركب سيارة بيكب (تويوتا) مصطحباً السائق وعنصر استخبارات، ساروا في طريق ترابي سلكته قوّة متقدمة من العتبة، لم يضعوا علامة أو إشارة!

تقدم السائق مسافة ٣-٤ كيلو، دخل قرية تحت سيطرة الدواعش، نظروا إليهم عناصر التنظيم، تلا المهندس الآية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ رفع يده سلم عليهم، ردوا السلام دون معرفته.

***

معركة الطف:

في غرفة العمليات وسط آمري العتبات المقدسة، سأله الشيخ سامي المسعودي: حاج متى ندخل البعاج والقيروان وضواحيها؟

رد عليه: شيخنا الفجر.

طرق على مسامعه سؤال ثان: حاج كيف نوزع المحاور؟

- من اليمين فرقة العباس عليه السلام.

- ومن اليسار؟

- لواء علي الأكبر عليه السلام العتبة الحسينية أخوة زينب.

- ومن الإمام؟

- الأنصار وبدر وفرقة الإمام علي عليه السلام.

حلل المسعودي توزيع المهندس قائلاً: يا حاج هذه معركة كربلاء وليست معركة الموصل، التاريخ يعيد نفسه.

تبسّم أبو مهدي، سأله وإجاب: هل تشك بهذه المعارك هي امتداد لمعركة الطف، لكنها تختلف بأساليبها.

وأردف: شيخنا نحن جئنا لخلاص الناس والأرض من إرهاب داعش.

***

هجوم بالمفخخات:

استمر هجوم داعش بالمفخخات مع منتصف عتمة الليل حتى

انبلاج الفجر في إحدى قرى غرب الموصل، الشيخ العسكري يقف بالقرب من الحاج أبو مهدي، أصر آمر اللواء بمغادرة الحاج والشيخ خشية عليهما من الوقوع بيد العدو.

رفض المهندس، تكلم الشيخ معه قائلاً: حاج اذهب وأنا أبقى مع فرقة الإمام علي عليه السلام.

التفت إليه، وضع كفَّه بكفِّ الشيخ، سارا مسافة قليلة بعيداً عن المقاتلين، همس بأذنه: أخي شيخنا إذا ذهبنا الآن ستنكسر القوة المتواجدة، بانسحابي ستقل همتهم وتضعف الإرادة هذا من جهة، والجهة الأخرى سيقل احترام المجاهدين إلينا ويتهموننا بالخوف والجبن لا سامح الله، نحن ليس أرفع شأناً منهم ولا دماؤنا أفضل من دمائهم، إذا قدر لنا الشهادة، فهذا هو العز والشموخ الأكبر، فلنتوكل على الله ونصد الهجوم والباقي على الله.

مسك الحاج جهاز النداء، يهتف ويحفز المجاهدين بنداءاته العقائدية، تقدموا نحو العدو، تقهقر داعش، مسكوا الأرض بلا خسائر.

انصرفوا بعد النصر، شكا إلى الشيخ شدة الجوع، وقفوا في إحدى نقاط الحشد على الطريق، تناولا ما يسد الرمق.

***

خطورة الطريق:

اشتدَّ الاشتباك في تكريت منطقة القادسية، لم يمضِ وقتٌ طويل،

حصَّن مقاتلو الحشد أنفسهم، وقف داعش عمليته واقتصر على القنص.

استقلَّ أفراد من الحشد عجلةً، وانطلقوا إلى منطقة العوجة في طريق يشهد هجمات على المارة، وفي أثناء المسير حدث خرم في إطار العجلة!

ساور الشيخ قلق بشأن مكان الحاج، ترجل وأخرج جواله كرر الاتصال به، باءت محاولاته بالفشل، شبكة الاتصالات مدمرة تماماً.

خرق آذانهم نداء جهاز اللاسلكي: استعجلوا بدأ التعرض على موقعكم.

ازداد القلق، كرر اتصاله مرة تلو أخرى، فشل مرة ثانية، شخص ببصره الشارع، لمح سيارة أبي مهدي تقترب منهم، وصلت إلا أن سائقها استمر بالمسير بسرعة.

بعد هنيئة، توقفت عنهم بمسافة، عادت أدراجها إلى الخلف، نزل منها الحاج مستغرباً، سأله: شيخنا ماذا تفعل؟ المكان خطر!

- أعلم بخطورته، هي معركة وليست نزهة.

رد عليه أبو مهدي: شيخنا إن ظفروا بك سيؤدي إلى انكسار المعنويات.

- حاج أنت ألست في هذا المكان الذي وصفته.

التفت إلى الآخرين قائلاً لهم: أبنائي عالجوا الإطار والحقوا بي إلى تكريت، ومسك الحاج بيد الشيخ وركبا بسيارته، حدثه: شيخنا أنا

في نهاية عمري وطموحي أختمه بحسن العاقبة.

أما أنت لا زال العمر أمامك لإكمال المسيرة الشريفة لخدمة الناس والدفاع عنهم.

عاد بشريط ذكرياته إلى ماضيه، حرَّك شفتيه: عندما كنت في عمرك كنت أجاهد وأتعلم وأستفيد من القادة كيفية إدارة دفة المعركة، وجاء اليوم الذي استثمر ما تعلمته بالدفاع المقدس.

وأردف: ثق بالله يا أبو محمد أفضل أوقات عمري عند استنشاقي عبق تراب الجهاد وفي ساحة المعركة، دروس وعبر وأخلاق وعبادة في أرض الجهاد.

***

طائرة مسيرة صغيرة:

يحمل السلاح طوال تحركه في المعارك، يجلس مع الحاج بالمقر، رنَّ مسامعهم صوت انفجار!

هرول آمر الفوج لمقرهم، أخبرهم: سارعوا بالخروج قام العدو بشن قصف بالقنابل اليدوية والطائرات المسيرة على مقراتنا.

ينوي المغادرة التفت إلى أبي مهدي، قرأ نيته رد فوراً: أتريدني أن أنسحب من طائرة صغيرة تحمل قنابل، هذا مستحيل.

أمره: أنشر القناصين فوق سطوح المقرات.

نشرهم، أسقطوا بعضها.

عند الليل أكمل المهندس اجتماعه، شد عزيمة المجاهدين، أمرهم بالتقدم فجراً، دخل عليه مسؤول المنطقة، نطق: حاج العشاء جاهز.

سأله: ما عشاؤكم؟

ردَّ عليه: حاج هناك موكب جلب لنا سمك ولبن وخضروات.

سأله مرة أخرى: والشباب القريبين منا على الساتر ما طعامهم؟

- حاج لديهم طعامهم الخاص.

نهض قائلاً: إذن نحمل الطعام ونأكل معهم.

أصر المسؤول على بقاء أبي مهدي، رفض وذهب إلى آخر نقطة وجد الشباب يطبخون على الحطب وطعامهم بيض وطماطم وخبز.

وضع قبلته على جبين كل منهم، مسح التراب عن وجوههم، افترش الأرض، يعمل لهم لقماً من السمك، يضعها بأفواههم، ويأكل طعامهم.

أَخذ صغيرُ السنِّ المتواجد بينهم ينظر إلى الحاج، حرك لسانه: ثق يا حاج أبي لم يفعل ذلك معي، هكذا أنت أبي، سالت دموع عينيه كزخات مطر.

نهض أبو مهدي مسح دموعه بأنامله، همس بأذنه: أنا أبوك وخادمك عزيزي وولدي.

***

صورة:

تهيأوا لتحضير المهرجان، دخل الحاج شاهد صورته على المنصة.

سأل: من وضع الصورة هنا؟

وأردف: ضعوا عليها شيء لا أريدها هنا.

رد عليه: أبا مهدي هذه صورتك، أنت الخير والبركة.

أكَّد قائلاً: بُنَيَّ افعل ما أقول واذهب إلى مهند وأبلغه على لساني: أبو مهدي يقول أن تضع شيء على صورته.

الفصل الرابع
رسائله وكلماته وأقواله
ووصيته ودعوته لولاية الفقيه

١- رسالة ثانية إلى المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة أية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (أدام الله ظلكم الوارف)

أكتب إليكم هذه الرسالة وأنا استشعر في داخلي حجم الانتصار الكبير الذي حققه أبناؤكم مقاتلو الحشد الشعبي الأبطال على زمر الإرهاب والتكفير، هؤلاء الثلة المؤمنة التي لبت نداءكم الشريف الوطني في فتوى الجهاد الكفائي مهدت لتأسيس وتنظيم آليات هذا العمل المبارك، وتشرفت أنا والمتطوعون حينها بقطع العهود على أنفسنا بأن نكون جنوداً أوفياء ولا نخذل الفتوى المقدسة التي انطلقت من أنفاسكم الشريفة.

سيدي الأب المرجع، لقد غيرت قواتكم مجرى الأحداث ليس

في العراق وحده إنَّما في العالم أجمع، وأبطلت المؤامرات الخارجية والداخلية جميعها تلك المؤامرات التي أريد منها أن يكون العراق مهزوماً، فكُنّا في طليعة الدول التي هزمت التكفير والتطرف والانغلاق متمثّلاً بداعش، وقد خاضت جحافل الفتوى الوطنية أشرس المعارك وأعنفها متسلحة بسلاح الإيمان والعقيدة والفداء للدين والوطن، فكُنّا سيدي المرجع نستحضر في قرارة أنفسنا ما تصبو إليه من دافع القوة والقتال استحضار العقيدة حينما وقفنا نقاتل أمام أعداء الدين والإنسانية ممتثلين أوامركم ونصائحكم التي لم تبخلوا بها على المقاتلين طيلة مدة القتال ضد داعش، فواصلنا الليل بالنهار وقدمنا الدماء تلو الدماء والتضحيات تلو التضحيات في هم واحد ونزعة واحدة من أجل أن يبقى العراق واحداً وشامخاً، ومن أجل أن تبقى مقدساتنا مصونة، والتي حاول الأعداء النيل منها والتي تهون من أجلها أن تصاب جسومنا وتسلم هي، ولقد تحقّق المراد سيدنا ومرجعنا الكبير، وانهزم الجميع وولى الدبر وجاء الحق وزهق الباطل، وتحقَّق النصر العظيم على قوى الشر والظلام والتطرف، ولاحت بشرى النصر أمام مرأى العالم أجمع بعد أن راهن الجميع على إسقاط البلاد، لكن إرادة الله بوجودكم وفتواكم المباركة حالت دون ذلك كما قال في كتابة الكريم: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

سماحة المرجع القائد، ونحن نستذكر تلك التضحيات الجسام

والبطولات الكبيرة والدماء الزاكيات التي روت أرض العراق، أعاهدكم أنا وأبنائي وأخوتي على مواصلة درب الجهاد والصمود والتضحية والفداء، وأن نبقى على هذا العهد سائرين ولفتواكم المباركة ملبين ومحافظين ما دام في النفس رمق، أدامك الله ظلاً ظليلاً وارفاً، وخيمة فوق رؤوس المجاهدين العراقيين، وحفظك لنا وللمؤمنين مرجعاً نستظل بظل حكمته وورعه وتقواه وإرشاداته إنه سميع مجيب قريب.

وآخر القول أن الحمدُ لله رب العالمين وصلى الله على رسوله والأئمة الميامين من آله وسلم تسليماً كثيراً.

المقاتل أبو مهدي المهندس

٢- كلمة القائد الحاج أبو مهدي المهندس في الذكرى السنوية الأولى في إعلان النصر على داعش:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

في الذكرى السنوية الأولى لإعلان النصر على داعش، لا بد من توجيه التهنئة والتبريك لكل العراقيين في هذا اليوم العظيم، يوم انتصرت إرادة العراق والعراقيين على داعش وكل الداعمين لها الإقليميّين والدوليين، الشكر أولاً لصاحب الفتوى المباركة سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني، للمراجع العظام، وللحوزة العلمية الشريفة

التي كان لها الفضل في إطلاق طاقات الأمة الهادرة، والشكر في المقدمة لأصحاب الفضل علينا جميعاً الشهداء الكرام والجرحى والمعاقين الذين كانوا في مقدمة ركب الجهاد والتضحية والشهادة ولعوائلهم الصابرة المحتسبة المضحية، للأمهات وللزوجات والآباء والأبناء والأخوات والأخوة.

لإخوتي وأبنائي في الحشد الشعبي يا من حققتم النصر مع أخوتكم في جيشنا الباسل، وفي الشرطة الاتحادية وفرقة الرد السريع وقوات مكافحة الإرهاب والأجهزة الأمنية الساندة، أقول لكم: أنتم أصحاب النصر الحقيقيين بجهدكم ودمائكم وتضحياتكم، حققتم ما لم يكن أحد يتصوّره.

والشكر موصول لبُناة الحشد الشعبي وداعميه من فصائل المقاومة البطلة ومن العتبات المقدسة والأحزاب والجهات التي ساهمت لبناء تشكيلات الحشد الشعبي.

والشكر والامتنان والعرفان لكل الداعمين من العشائر الغيورة والمواكب والهيآت الحسينية والإعلاميين والأطباء والكوادر الطبية والفنانين والمثقفين وأساتذة وطلبة المدارس والجامعات ومنظمات المجتمع المدني وكل شرائح المجتمع العراقي التي ساهمت وبكرم قل نظيره.

أنتم جميعاً شركاء في هذا النصر.

والشكر للحكومات المتعاقبة بوزارتها وهيئاتها ومؤسساتها المركزية والمحلية التي كان لها الدور الداعم والساند إلى المعركة.

والشكر للبرلمان العراقي في دورتيه وللسلطة القضائية، ومن الوفاء أن نستذكر الإسناد والدعم الكبير الذي قدمته الجمهورية الإسلامية وحزب الله.

لقد طوينا صفحة داعش العسكرية وحفظنا وحدة العراق شعباً وتراباً، ونحن نتحدث عن النصر لم نغفل ولن نغفل في الحشد الشعبي، وفي باقي قواتنا المسلحة عن الخطر الأمني الذي تمثله داعش ومن يسندها.

لا زلنا نمسك السَّواتر والحدود ونتابع يوميا تحركات العدو في كل مكان، ونقوم ومنذ إعلان النصر في العام الماضي بعمليات أمنية وعسكرية محدودة لمواجهة بقايا داعش ولمنعه من القيام عمليات إيذاءية لأهلنا على كل أرض العراق.

لقد عملنا خلال العمليات العسكرية، وتسارع ذلك بعد إعلان النصر على إعادة أهلنا النازحين إلى مدنهم وبيوتهم مع توفير أعلى ما يمكن من أمن، والمساعدة في تقديم الخدمات الممكنة بالتعاون مع دوائر الدولة المحلية.

وتنشغل هيأة الحشد الشعبي اليوم بإعادة التنظيم والتركيز على التدريب وإخراج المكاتب والمعسكرات من المدن والسعي الحثيث

لبناء معسكرات نظامية لتشكيلات الحشد ودوائره.

وقد تم تخصيص مهم من إمكانيات الحشد الهندسية ومنذ سنة لتقديم ما يمكن من خدمات في الموصل والبصرة وبعض المدن الأخرى.

ونعمل وبشكل دؤوب ومستمر على إشاعة الضبط العسكري والمالي والإداري في تشكيلات الهيأة وبين منتسبيها بما يتناسب والمكانة الرفيعة التي احتلها الحشد في قلوب المواطنين، ونحرص دائماً على أن تكون الهيأة بكافة تشكيلاتها ومنتسبيها تحت سقف القانون وبإمرة السيد القائد العام للقوات المسلحة.

لقد عملنا ونعمل على زيادة اللحمة بين الهيأة وباقي القوات المسلحة والأجهزة الأمنية، فهي سر الانتصار.

وستشهد الأيام المقبلة خطوات مهمة في هذا الاتجاه من خلال تسكين رواتب المقاتلين عن طريق البطاقة البنكية الالكترونية، وقد أعدت الهيأة مقترح قانون الخدمة التقاعد لمنتسبي هيأة الحشد الشعبي وسنقدمه للحكومة الموقرة بإقراره ورفعه إلى البرلمان للتصويت عليه، وسيكون خطوة أساسية ومهمة لاستقرار الحشد وضمان كافة حقوق منتسبيه خصوصاً عوائل الشهداء والجرحى والمعاقين الذين هم أولى الناس بالرعاية وتقديم خدمات أساسية لهم.

ونأمل من الحكومة الموقرة والبرلمان بتخصيص ميزانية مناسبة

لمساواة هيأة الحشد مع أقرانهم في القوات المسلحة وزيادة التخصيصات المالية من أجل بناء المعسكرات وتجهيز الحشد الشعبي بالأسلحة والتجهيزات والإمكانيات المناسبة.

وأخيراً نقول للسيد القائد العام للقوات المسلحة أن أبناءكم في هيأة الحشد الشعبي هم جنود أوفياء لهذا البلد وتحت إمرتكم وقيادتكم.

ونقول لأهلنا، لأَهالي شهداء سبايكر، لأَهالي آمرلي، لأَهالي بلد، لأَهالي الضلوعية، لأَهالي سنجار من أهلنا الايزيديين المظلومين، للسنة والشيعة، والكرد والتركمان، والمسيحيين والصابئة وكل العراقيين، لكل من سقط مضرجاً بدمائه شهيداً وجريحاً في مدن وقرى قصبات العراق على مدى سنوات طويلة لن نسمح بتكرار المأساة، سيبقى الحشد الشعبي صمام أمان للعراق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣- أقواله عن الشهادة:

- لديّ ثقة بالله سبحانه أنّه سيكرمني بالشهادة.

- نحن مشاريع شهادة.. إذا لم نستشهد اليوم، فحتماً سيمنّ الله سبحانه وتعالى علينا بالشهادة المباركة.

- لن أترك الحشد إلا وأنا شهيد.

هكذا الحاج أبو مهدي المهندس يقرع باب الشهادة بإخلاص ويلح في قرعه، توصد له أبواب في موقف، ويفتح الله له باب أكبر.

هو شمس لا يغطيه السحاب، غلب شعاعه وأتقد إلى الإبصار والبصائر.

٤- بعض كلماته الارتجالية الخالدة:

- ليس هناك أحد يخدم البشرية بمقدار ما خدمها الشهداء، لأنَّهم وحدهم هم الذين يفتحون الطريق للآخرين ويهدون الحرية لأفراد المجتمع البشري.

- الحشد الشعبي للعراق ومن العراق لا يفرق بين سني وشيعي ولا بين صابئي وشبكي ولا ايزيدي وكوردي العراق للجميع والقانون فوق الجميع والحشد الشعبي يطبق القانون.

الحشد أمن الدولة.... الحشد سور الوطن... الحشد هوية العراق.

- ونحن بدورنا نقول أن الموت لأهون لدينا من إطلاق رصاصة واحدة على شبابنا وأبناء شعبنا الذين كانوا لنا خير سند وظهير خلال معارك التحرير المصيرية.

٥- توصياته:

من وصاياه التي ألقاها في مخيم الراية الثقافي العام:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللهم على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين..

اللهم صل على محمد وآله الطيبين الطاهرين، صلى الله عليك يا مولاي يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلَّت بفنائك..

واقعاً من المفرح أن أرى هذه الوجوه الطيبة والمخلصة، أتذكر شبابي كنت أصغر منكم في المسجد تعلمت القرآن فيه وأنا في الابتدائية.

النقطة المركزية هو الحسين عليه السلام، والنقطة المركزية لكم الالتزام بالمساجد، وقضية مهمة لكم كشباب سائرين في هذا الخط، خط الوعي والفكر هو التقوى يعني ممارسة التقوى ذكر الله حتى لو كان بسيطاً في البدايات هو هذا الذي سيثبت.

الطريق عادة صعب، وطريق الحياة من الولادة وسن الرشد والبلوغ إلى يوم الوفاة (الله يطيل بعمركم الشريف إن شاء الله) هذه الفترة فترة حرجة، فالإنسان يتعرض فيها إلى ابتلاءات مختلفة، سأقول لكم كلمة واحدة وأذهب!

المهندس عنده معادلات تعلمنا معادلة صغيرة تقول: إنك داخل الحزب جندي وبين الناس قائد. طبقناها لكن بين الناس نتصور أنفسنا قادة، كوننا انتمينا للحزب، عندما جاء الإمام الخميني (رض) (صلوا على محمد وآل محمد) تفاجأت بمعادلة ثانية يقول: نحن خدام للناس.

خدم، يمكن بقيت ستة أشهر إلى سنة حينها استوعبت الفكرة، كنا قادة، لذلك تقرؤون في وصيته:

«أنا راحل من هذه الدنيا في قلب مطمئن»، ويقول: «يرحل أحد الخدام وإذا رحل ليست عندكم مشكلة».

جاء بعدها الإمام الخامنئي الله يطيل بعمره الشريف (صلوا على محمد وآل محمد).

أحد العرفاء يقول أعلى ذكر عند الإنسان وأعلى عمل هو خدمة الناس.

النقطة المركزية أن يقضي عمره بمرضاة الله سبحانه وتعالى بأن يخدم الناس، يدافع عنهم، هدايتهم، وتقديم أية خدمة ممكنة لهم سواء كانت مادية أو فكرية، أسأل الله سبحانه وتعالى لكم التوفيق والثبات على هذا الخط ومهم جداً إدامة الطريق، قد يصعد الإنسان على طريق على سكة بعدها ينقلب، فإدامة هذا الطريق مهمة، لذلك نسأل الله سبحانه وتعالى دائماً حسن العاقبة، الآن تأتي حسن العاقبة بالشهادة هذا جيد، لكن على الأقل يثبت على دينه وما بدأ به، لا يأتي الإنسان بعد خمس سنوات أو عشرة يقول أين قضيت عمري أين ذهبت ومن أين جئت، الثبات مهم لذلك في القرآن الكريم يقول: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

وفي العادة النصر هو الصعود إلى أعلى ما يمكن، أن تنتصر على نفسك وعلى العدو هذا شيء مهم جداً.

والثبات صعب في السابق عندما كنا بالجهاد أيام كردستان، في

أيام الهور كان عادياً وفيه مشاكل كثيرة كالبعوض والحشرات الأخرى والذهاب إلى الحمام قصة، وأحياناً يحرق الهور يسمى بالدارجة (حريج) لا هو ماء ولا هو يابس فتغوص الأقدام في الطين، الجمر باقي أسفل الطين تسمى حريك، وفي الجبال شيء ثانٍ، فالصعود إلى الجبل يستغرق يوم أو يومين ومتعب، لكن الصعب أن تبقى بالقمة، فهناك هواء عاصف وعالٍ وجو بارد، والقمة لا تتحمل الكثير من الناس تتحمل نفر أو اثنين في العادة، والعاصفة قوية والنزول صعب أحياناً يتدحرج الشخص، وغالباً ننزل على ظهورنا في أيام الثلج، لذلك الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

الثبات مهم، الآن لديكم فرصة وأنتم شباب خذوا ما يثبتكم.

الإمام الراحل يوصي ابنه أحمد: لا تشتبه الشيطان لا يخدعك، يقول لك أنت تكبر وتستطيع أن تتدين فيما بعد تصلي وتصوم، يقول الذنب مع نبتة الشجرة، تخرج حشيشة من الحشائش الصغيرة من السهل أن تقلعها، لكن لو أصبحت تلك الحشيشة شجرة أخرى مجاورة إذا أردت قلعها ستقلعك معها والعياذُ بالله.

لذلك الثبات مهم والتدرج في التدين، الرسول يقول: الدين صعب مستصعب، فتوغلوا فيه برفق.

التوغّل بالدين برفق سهل، فالدين سيكون سهلاً إذا صعده الشخص بسهولة وفهمه بسهولة ومارسه بتدريج.

نسأل الله حسن العاقبة جميعاً والثبات لنا جميعاً على هذا الطريق طريق الولاية وطريق الحسين عليه السلام.

وصلى الله على محمد وآل محمد الطاهرين.

٦- وصية الشهيد القائد بعد الشهادة:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا رسول الله وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين

السلام عليك يا رسول الله وعلى أمك وأبيك وعلى زوجاتك. وعلى الصديقة الطاهرة خديجة الكبرى، السلام عليك وعلى أبنائك وعلى الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء..

السلام عليك وعلى وصيك وابن عمك علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، السلام على الأئمة من ولدك الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة، والسلام عليك وعلى أولادك المعصومين علي بن الحسين السجاد، ومحمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمد الصادق، وموسى بن جعفر الكاظم، وعلي بن موسى الرضا، ومحمد بن علي الجواد، وعلي بن محمد الهادي، والحسن بن علي العسكري، ومحمد بن الحسن المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

أئمتي وسادتي وقادتي، بهم أتولى، ومن أعدائهم أتبرأ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمّداً رسول الله، وأن

الأئمة من أبناء علي بن أبي طالب عليهم السلام، أئمتي وسادتي وقادتي بهم أتولى، ومن أعدائهم أتبرأ، وأشهد أن الموت حقّ والحساب حقّ، والجنة والنار حقّ.

أوصي كل الأخوة والأخوات الذين يسمعون صوتي وأوصي أهلي ببراءة ذمتي بعد موتي. ما أملكه من متعلقات ويتعلق بالعائلة الكريمة أسأل الله سبحانه وتعالى لهم التوفيق والهداية والثبات وحسن العاقبة لزوجتي وبناتي...

وأسأل الله سبحانه وتعالى الثبات وإدامة الجهاد للمجاهدين من إخوتي وأبنائي الذين سطروا أروع ملاحم الجهاد. طيلة هذا العمر الذي قضيته، منذ بداية عملي الجهادي وإلى اليوم، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يحشرني معهم، سواء إخوتي الذين استشهدوا عندما كنا في أيام الجامعة وما بعد الجامعة، من شباب الدعوة المجاهدين في ذلك الوقت، وهم بالمئات من إخوتي وأصدقائي وأساتذتي وعلى رأسهم الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر رضوان الله تعالى عليه، ومن رافقني بالجهاد بعد ذلك من الكويت إلى إيران إلى العراق. وشباب بدر الذين سبقونا بالإيمان وسبقونا بالشهادة، وشباب المقاومة الذين قاوموا الاحتلال ما بعد سقوط النظام الظالم، وشباب الجهاد وشباب الحشد الآن بكل الفصائل وكل التشكيلات، أسأل الله لهم الثبات والهداية والتفكر في الدين... أؤكّد على إدامة الجهاد مع التفكر في الدين ومعرفة أحكام

الله سبحانه وتعالى، أحكام الجهاد وأحكام التعامل مع الأسرى، وأحكام التعامل مع أموال الناس وأعراض الناس.

هدفنا هو مرضاة الله سبحانه وتعالى، الهدف الأسمى هو رضا الله سبحانه وتعالى... خدمة الناس مهما كانوا، سنة، شيعة، مسيحيين، إيزيديين، بقومياتهم، بمذاهبهم... هدفنا هو مرضاة الله، لم نأتِ بغاة، وإنما خرجنا للإصلاح وللقضاء على الإرهاب، وأن يعيش العراق إن شاء الله بأمان وسلام.. إن شاء الله دماؤنا ودماء كل الذين قدموا هذا الدم، من شباب هذه الأمة المخلصة هدفه مرضاة الله سبحانه وتعالى، وإحقاق حقوق الناس وإشاعة الأمن والسلام في ربوع العراق ورفع الظلم إن شاء الله عن كل مظلوم، والاستقرار إن شاء الله في العراق وفي المنطقة.

أسألهم الثبات وإدامة روح الجهاد وإطاعة ولي الأمة السيد القائد خامنئي حفظه الله تعالى وأدام ظله الشريف.

أوصيكم الاهتمام بشيعة المنطقة وشيعة العالم ونصرة المظلوم مهما كان مذهبه. وأسأل الله سبحانه وتعالى لكم التوفيق والثبات وبراءة الذمة والحمد الله رب العالمين وصلِّ اللهم على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

٧- دعوته إلى نظرية ولاية الفقيه:

قبل الخوض في غمار هذه الدعوة، لا بد من إيضاح الإطار العام

لهذه النظرية.

ولاية الفقيه نظرية فقهية قديمة صادرة من المذهب الإمامي الجعفري حتى رأى بعض الفقهاء ما يتضمن مفهومها بدون تصريح عند الفقهاء الأوائل كالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) والمرتضى (ت٤٣٦هـ) والطوسي(٤٦٠هـ) وغيرهم.

إنَّ تعدُّد آراء الفقهاء حول هذه النظرية لا يخرجهم من صلب المؤسسة الإسلامية العامة، وكل ما في الأمر أن هذا التخصيص لا يستلزم التباين في ما عند هؤلاء وما لا عند هؤلاء.

وإنَّما هذا التخصيص عبارة عن مدارس متنوعة لكن جميعها يستقي من جدول واحد هو الكتاب والسنة، وله اختلاف جهتي، يعني البعض يذهب إلى معنى فهمه من النصوص أو فهمه من الأدلة الأخرى، بينما لا يذهب الآخر إلى هذا المعنى.

وما يهمنا لماذا كان الحاج المهندس يدعو لهذه النظرية؟

لو راجعنا بداية هذه السيرة العطرة للمترجم له، سنجد مرجعه الأول الشهيد السعيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر (قدس سره)، وهو كان متبنياً لهذه النظرية، فكانت نظريته الأولى هي الشورى التي تقدم بها سنة (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)، ثم عدل عنها إلى نظرية ولاية الفقيه، ونظريته الثالثة طعّمها بولاية الفقيه وسميت حكم الدولة الإسلامية.

لقد عرض السيد الشهيد الصدر نظرية ولاية الفقيه بين عامي (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)/(١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) في بعض مؤلفاته كحاشية منهاج الصالحين للسيد محسن الحكيم والفتاوى الواضحة (للسيد محمد باقر الصدر)، كما كان تاريخ عدوله إلى أواخر مرجعية السيد محسن الحكيم (ت ١٩٧٠م) إلى أواخر الثمانينات.

وقد رأينا مقدمة السيرة قوله وامتثاله إلى الإمام الخميني قدس سره في انتصار الثورة الإسلامية في إيران. وفهمنا أيضاً من تلك السيرة بأن الشهيد الصدر لم يكن مرجعاً للحاج المهندس فحسب، إنّما كان أستاذه، وبذلك هو أحد مؤيدي وعاملي النظرية قبل خروجه من العراق إلى الكويت ثم إيران.

وفي الكويت وبعد استشهاد مرجعه السيد الصدر، نراه انضم على الفور إلى مرجعية الإمام الخميني الذي أنشأ مدرسة لولاية الفقيه، ثم من بعد رحيله دخل مدرسة الإمام السيد علي الخامنئي.

والسؤال الذي يفرض نفسه، هل وجد ضالته في هذا الخط الجعفري الإمامي وهذه المدرسة تحديداً؟

- بالطبع يجد ضالّته، يرى بعينه النجاحات الباهرة التي حقَّقتها تلك المدرسة على مستوى الجمهورية الإسلامية الإيرانية وكالمقاومة الإسلامية في لبنان (حزب الله).

وأيضا وجدها أقرب إلى منهاج الإمام الحسين عليه السلام من حيث

الاصطفاء بالشهادة، فقد سبقه رُوّاد قادة على هذا الخط كسيد شهداء المقاومة في لبنان سماحة القائد السيد عباس الموسوي والشهيد الحاج عماد مغنية والشهيد الحاج مصطفى بدر الدين وسائر الشهداء المخلصين الأبرار.

وربما هناك سؤال يراود الأذهان، هل هذا الخط والمدرسة مخالفة إلى مدرسة النجف الأشرف؟

– من المستحيل ذلك، فكل من المدرستين من صلب المؤسسة الإسلامية، وخط النظرية لا يتوانى لحظة واحدة عن دعم المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف، هذا الدعم لا يقتصر على القول، بل بالأنفس والدم والسلاح. وقد رأينا بأم أعيننا ما نوع الدعم في فتوى الجهاد الكفائي، أوامر قائد الثورة السيد علي الخامنئي وتوصياته لكبار القادة الإيرانيين ومن يتبع بالالتزام والتقيد بكل ما يصدر من سماحة الإمام المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني، تزويد العراق بالسلاح والأعتدة المتنوعة، استشهاد كبار القادة كالحاج قاسم سليماني وغيره.

ويكفي بأن المرجعية الدينية العليا كانت نعم الأب، تحترم مدارس المذهب، متفاعلة، بلغ حزنها حد اعتصار القلب وسيل الدموع على الشهداء وبينهم قادة النصر.

وبذلك يمكننا القول بأنَّ المدرستين أحدهما مكمل إلى الآخر

ولعلَّ هذا ما كان يجول في ذهن الشهيد الحاج أبو مهدي المهندس.

٨- منهجيته في المقاومة:

لو عدنا إلى سيرته العطرة سنلاحظ تفانيه وبذله جهداً كبيراً منذ طفولته وصباه، إذ شغف بالمواجهة وتحدي من يظلم الناس، وذلك من خلال تعلّمه ممَّا سمعه في المجالس الحسينية، كما تخرج في جامع الفقير متعلّماً الطهارة والنية الصادقة، والله أكبر من كل شيء، ومن يثق بالله ويتوكل عليه لن يتركه وحيداً في مواجهة الظالمين، لذلك منذ الوهلة الأولى كانت صلاته صلاة المقاومين الذين يهيّئون أَنفسهم لمرحلة مواجهة صعبة.

وشاءت الظروف أَن يحلّ بالبلد الظلم نتيجة الاعتداءات من النظام البعثي على الناس وما لحقه فيما بعد جرائم التنظيمات الإرهابية كالقاعدة ثم داعش. وهنا شغفه بالمواجهة والتحدي جعله يقوي موقعه بكل ما شأنه مرتبط بالمقاومة.

وأصبح مقاوماً كبيراً بين مقاومين كبار يعدّون على الأَصابع، قائداً تمرَّس على القيادة مذ بدأ عمله الجهادي، كان حسّاساً إزاء الظالم، لا يطيق أَن يرى ظالماً، ولعلَّ هذه الحساسية المرهفة جعلته شديد الحماسة للمواجهة والتحدي.

بات يحمل روح المقاومة، وله منهجيّته بتلك المقاومة لا سيما في

سوح الوغى، أضفى عمله الجهادي منهجية للمقاومة في العراق، وهذه بعض النقاط لتلك المنهجية:

أ- رسم الأَهداف وطرق الوصول إليها بوسائل متعددة.

ب- التوقيت.

ج- الزمان.

هـ- المكان.

و- اختيار الأشخاص المناسبين.

هذه تكاد أن تكون برمجية القائد الشهيد في منهجيته، فكانت نصب عينيه وبين يديه عندما كان يهمّ بأَي عمل ويتحمل مسؤوليته كاملة.

أَما همّ المقاومة واستمرارها، فهو توأمه ولا يمكن أَن تفصل بين الشخصيتين، الشخصيتان مكملتان لبعضهما البعض، والتوأم هو الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني، فهناك تقارب بينهما على هذا النحو:

أ- السكون والهدوء وهما يستبطنان غلياناً داخليّاً.

ب- لا تتسع مساحة القدرية والعفوية لديهما.

ت- محبة الناس لهما فيها تناغم بين الشخصيتين.

ث- حرص بعضهما على بعض.

د- سد الثغرات لدى بعضهما البعض.

ذ- الالتفاف على بعضهما البعض في حالة هفوة ما.

ر. من الصعب التمييز بين خبرتيهما.

هذه المميزات قلَّ ما تتوافر في شخصيتين يعيشان في نفس اللحظة ونفس المكان وفي نفس المرحلة.

وطبعاً تكمن أَهمية هؤلاء القادة بالأَداء، ففي ساحة الميدان كانا معاً، إذا صدر أَمر من أحدهما، الآخر ينفذ، حتى وإن كانت لديه وجهة نظر متفاوتة بعض الشيء.

ولذلك هذا الأمر تنعكس انضباطيته في الأداء عند المجاهدين، وأَيضاً ينعكس نظاماً وسلوكاً مترفّعاً في الأداء. وبالنتيجة هما قائدان منظّمان في فكرهما وأَدائهما.

وبحسب اعتقادي المتواضع من يتأمل في كلمات القائدين عن بعضهما سيلاحظ بعض ما تحدثنا عنه:

أ- كلمة الحاج أَبو مهدي المهندس عن الحاج قاسم سليماني:

الحاج واقعاً بحسب قول السيد... إنه شهيد حي.

كنا قلقين حقاً بسبب وجود خطر الأمريكان، الأمريكيون على الأرض، في الجو في العراق، بالتأكيد أَين سيكون الحاج قاسم؟

في كل عملية كنا نذهب بحضوره، كان ذا تفكير عالٍ ولم يذهب ويجلس في بغداد مثلاً.

لقد كان الحاج قاسم ورجاله بالفعل متقدّمين علينا في جميع العمليات، تلك المناطق التي ربّما لم نجرؤ على الذهاب إليها، كان هناك

أَمامنا، في جميع العمليات.

عادة ما يتفقد ويرى الأرض قبل العملية، إذا لم يرَ بعينه، فإنَّه سيمضي قدماً بمفرده حتى إنَّه ذهب للتحقق مع داعش على بعد أَمتار قليلة، ثم أمر بالعملية.

عندما يصبح الوضع في المنطقة معقّداً كثيراً، فإنَّه سيمضي قدماً بالتأكيد.

حتى لو كانت أيضاً تحت نيران العدو، ولولاه من غير المعلوم ما إذا سنكون هنا ونتحدث في بغداد، هو وأبناء الحرس الثوري الذين أتوا إلى هنا واستشهد بعضهم أيضاً هنا.

وهو الشخص الذي استطاع تنظيم الطوفان العظيم من الناس وتدريبهم وتجهيزهم وتخطيط وتنظيم انتصارهم كان هذا كلّه من عمل الحاج قاسم.

واقعاً كانت شخصية الحاج قاسم فريدة من نوعها، وليس لها بديل.

لقد كنت معه منذ حوالي عشرين عاماً كان صادقاً ومنكراً لذاته ومتواضعاً.

ب- كلمة الحاج قاسم سليماني عن الحاج أبو مهدي المهندس:

هذا الحاج أبو مهدي المهندس، هذا الشهيد الحي، هذا المجاهد الذي يحمل في سجله ٤٠ عاماً من الجهاد، فأنا أفتخر بأنَّني كنت وما

أَزال جندياً عند الحاج أبي مهدي المهندس.

جـ- لقاء متلفز عبر قناة إيرانية مع الحاج أبي مهدي سأله مراسلها:

من يشغل في قلبكم الحيز الأكبر من المحبة بين الإيرانيين؟

ردّ المهندس: حسناً القائد الإمام الخامنئي ليس ملكاً للإيرانيين فحسب، بل هو الملهم، قائد للجميع.

- ومن تحبون غير ولي الفقيه؟

- الحاج قاسم.

- لماذا؟

- لماذا، لا أعلم لكن هناك الكثير من الأَسباب.

- كيف هي علاقتكم به؟

- علاقة الجندي بقائده.

- جندي الحاج قاسم؟

- جندي الحاج قاسم وأفتخر بذلك.

- قائد الحشد الشعبي يفخر بأنَّه جندي الحاج قاسم؟

- نعم.. نعم.. أَنا جندي الحاج قاسم وأفتخر بذلك، وهذه نعمة إلهية.

- هل تقاتلون من إيران أو العراق؟

- لا مشكلة لدينا إيران هي أم القرى ولا نرفض ذلك.

٩- كلمته عن موقف الجمهورية الإسلامية الإيرانية مع العراق:

لولا موقف آية الله العظمى السيد الخامنئي الله يحفظه ويديم ظله الشريف ودعمه للعراقيين بكردهم وتركمانهم وشيعتهم وسنتهم وإيزيديهم، من أخرج الإيزيديين من جبل سنجار؟

من ساعدهم؟ من ساعد آمرلي وقت الحصار؟

كان الأمريكان يتفرجون، وجاء حاج قاسم وذهبنا في الهليكوبتر إلى سبايكر التي كانت جزيرة وسط داعش.

ذهبنا إلى جامعة تكريت في الهليكوبتر، ذهبنا بالهليكوبتر إلى آمرلي وكانت محاصرة، ذهبنا إلى مطار تلعفر أنا وحاج قاسم بالطائرة قبل سقوطه بثلاثة أيام، كدنا نقتل أو نتأسَّر عندما ذهبنا ندافع عن مخمور وأربيل عندما كانت داعش عابرة جسر الكوير قدموا شهداء هناك.

واليوم بعد الحشد والتأسيس أعدادهم بالعشرات...

الفصل الخامس

أحداث الشهادة

حدث:

ترمقُ أَنظارنا إلى حركات معقَّدة متسارعة متداخلة من عدَّة اتجاهات، نتيجة تراكمات مأزومة متعدّدة.

منذ الصيف تصاعدت الأَحداث، نبصرُ ونسمعُ انفجارات، قصف!

استهدفت قاعدة أمريكية في كركوك نتج عنها قتل أَمريكي وسقوط عدد من الجرحى.

تحوَّلت اللغة شيئاً مختلفاً عن كلِّ ما رأَيناه وعرفناه في المدّة الماضية، تصاعدت في تلك الفترة.

***

تهديد علني في مكالمة هاتفية:

وزير أَعتى قوى دوليَّة يبلغ بقصف انتقامي ردّاً على قصف قاعدتهم في كركوك!

اتصلَ (أَسبر) وزير الدفاع الأَمريكي في شتاء ٢٠١٩/١٢/٢٩ بالسَّيد عادل عبد المهدي رئيس الوزراء العراقي قائلاً له: قُصفَتْ القاعدة وسقط أَحد الأَمريكان قتيلاً وهناك جرحى، ونحن سنردُّ على قصف قواعد

المليشيات.

استغرب رئيس الوزراء، ردَّ في أذنه قول: هل سمعتك جيداً، ستقومون بقصف قواعد وهي كلّها عراقية، هذا يعدّ خرقاً سيقودنا إلى مجاهيل وأمور خطيرة كبيرة.

وأَردف: مازالت التحقيقات مستمرة، وهذا المكان لا تتواجد فيه مجاميع الحشد الشعبي، ويجب أَن نستمر بالتحقيقات والتعاون المشترك لنمنع هكذا عمل.

ردَّ عليه (أَسبر): يجب أَن نردَّ، وأَنا مكلّف بتبليغكم رسميّاً بأَنَّنا سنقوم بهذا العمل بعد ساعات.

ترجّاه السيد عادل عبد المهدي، رنَّ مسامعه: أَرجوك لا تقوموا بهذا العمل، دعنا نلتقي، دعنا نتحدث، دعنا نأخذ وقتاً، إنَّ هذا سيقود لتداعيات خطيرة.

أَصرَّ أَسبر قائلاً: سأنقل وجهة نظرك إلى الرئيس ترامب، لكن نحن مصممون على هذا العمل.

انتهت المكالمة، اتصل رئيس الوزراء بالقيادة العسكرية وأَبلغهم بما سيحدث، كما أَجرى مكالمة أُخرى ما بين السادسة والنصف أو السابعة إلا ربع بالحاج أبو مهدي المهندس، أَخبره بالتهديد.

ردَّ الحاج المهندس: القصف بدأ.

انطلقت صواريخ العدو بعد عشرة دقائق من إنهاء المكالمة بين

الوزير الأمريكي ورئيس الوزراء، لماذا لم يمهلوا العراق ساعات كما قال أَسبر؟

أَسفر القصف في القائم عن سقوط عشرات الشهداء من مجاهدي الحشد الشعبي.

ما هو دليل الاحتلال على قصف قاعدته من قبل قوى أَمنية عراقية؟

***

تشيع جثامين شهداء القائم:

ردود الأفعال الحضارية الإنسانية عن ارتكاب جريمة ما في أَغلب الأحيان هي عملية انفجار هائلة أَكثر من الردِّ المسلح!

يوم ٢٠١٩/١٢/٣٠م حملت جثامين الشهداء الطاهرة إلى مقر الحشد الشعبي في منطقة الخضراء، دخل المشيعون إلى المنطقة، تقسموا عفويّاً إلى قسمين، قسم اتَّجه إلى المقر، والآخر توجه صوبَ السفارة الأمريكية.

اعتصم المشيعون أَمام السفارة، ذُعِرَت واشنطن وسفارتها في بغداد، ارتبكت أَفكارهم في أَول الغيث ذهبت إلى الاعتقاد بحدوث شيء كبير كالاعتصام أَمام السفارة الأمريكية الذي حدث في طهران بداية الثورة الإسلامية.

لا يرون غير جموع غاضبة تحمل مقومات البقاء لفترة طويلة، هل

تخوف العدو من اختصار المرحلة بثورة؟

تكرّرت الاتصالات بين الولايات المتحدة والحكومة العراقية، يريدون حماية سفارتهم في طرفة عين، قامت الحكومة بواجبها وأرسلت عدداً غفيراً من القوات العراقية لحماية السفارة.

ترك الأمريكان مهاوي تبرير جريمته، جعلوا أَنفسهم أَصحاب السيادة، يأتي الرد من داخل مبنى السفارة مخاطباً الحكومة: إنَّكم تقصرونَ، لا تقومونَ بالواجب، هؤلاء لا يحقُّ لهم التواجد هاهنا.

السيطرة على ردود أَفعال الجموع الغاضبة ليس بالأَمر الهين، كانوا يوصلون رسالة إلى واشنطن وسفارتها: يا أَيّها الامريكان اقترفتم جريمة كبرى.

استمر الاعتصام إلى مساء يوم ٢٠١٩/١٢/٣١..

اتصل السيد عادل عبد المهدي بأَمانة سرّ الحشد الشعبي، طلبَ من الحاج أَبي مهدي المهندس أَن يساعد الحكومة من أَجل انسحاب المواطنين.

خرج المهندس يصطحبُ معه العلميات المشتركة مساء هذا اليوم، تكلّم مع جموع الناس قائلاً: يجب أَن تنسحبوا فهذه سفارة بحماية الحكومة، والانفعالات غير مجدية.

أَثَّرَتْ مَحبتُهُ في قلوب الناس، يعلمون نصيحته لله تعالى، رحَّبوا بطلبه ونفّذوا طلبه بالانسحاب.

لولا دور المهندس لحرقت الجموع الأَخضر واليابس في تلك السفارة، بماذا يجازيه الأمريكان؟

يقف بعض عناصر السفارة أَعلى المبنى، يراقبون الحاج بالمناظير، يؤشرون الضوء الليزري على جسده، توجَّس جميع المحيطين استهدافه، هل كان القائد مراقباً قبل ذلك أو في تلك اللحظة؟

خلال اليومين من الأزمة عمدت الصحافة الموالية إلى الاحتلال بتصعيد الموقف وكأَنَّها تنبئ بحدث سيكون قريباً!

***

مكالمة بين الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء العراقي:

ليلة رأس السنة الميلادية في حدود الساعة التاسعة مساءً اتصل ترامب بالسَّيد عادل عبد المهدي، قدم الرئيس الأَمريكي شكره إلى الحكومة العراقية على إنهائها أزمة المظاهرات، سأله: من هم هؤلاء، هل هم إيرانيون؟

رد عليه رئيس الوزراء: لا، هؤلاء عراقيون احتجوا على مسألة القائم، ونحن حذرنا وزير الدفاع الأمريكي أَسبر، من أَن هناك ستكون ردود أَفعال خطيرة وعنيفة.

أسمعه ترامب قوله: نحن لا نعرف الإيرانيين جيداً، أنتم تعرفونهم أفضل منّا.

أجابه السيد عادل: الإيرانيون يقولون نحن لا نريد الحرب، وأَنتم

تقولون لا نريد الحرب، لا يوجد غير مجالين مسارين، الأول: هو التفاوض المباشر وإذا لم يتيسر هذا التفاوض، على الأقل الاتفاقات الضمنية كما كان يحصل بعد عام ٢٠٠٣، فكان يحصل معرفة الخطوط الحمراء من هذا الطرف وذاك الطرف.

قال له ترامب: أَنتم مفاوضون بارعون جيدون، ما تستطيعون أن تفعلوه في هذا الشأن نحن مستعدون.

***

هل كانوا يخططون لجريمة الاغتيال؟

سمعت من على لسان رئيس الوزراء في لقاء متلفز حول الحادثة قائلا: كانت هناك موافقة ودعوة رسمية لزيارة الحاج قاسم سليماني للتباحث في العراق.

وأَردف في قول آخر: بأَنَّه كان على موعد مع الجنرال سليماني في اليوم التالي من المكالمة في الساعة الثامنة والنصف صباحاً لتناول الفطور سوية.

(جريمة اغتيال) غير عادية تحتاج إلى وقت من الزمن للتخطيط وجمع المعلومات؟

***

رحلة الحاج قاسم إلى بغداد:

كلما وصل لبنان يذهب لزيارة عائلة صديقه الشهيد الحاج عماد

مغنية، طلب يوم الأربعاء من زوجة الشهيد مسبحة من طين قبر الإمام الحسين عليه السلام.

وذهب لزيارة السيد حسن نصر الله واستمر اللقاء بينهم ٦-٧ ساعات، غادر برّاً بمرافقة بعض عناصر فريق حماية السَّيد إلى دمشق، بقي ليلة واحدة هناك، وطلب حجز ستة مقاعد باسم أبو كريم على طائرة تابعة إلى شركة أَجنحة الشام.

غيَّر ملامحه، ارتدى كمام (ماسك طبي أزرق) وقبعة سوداء، صعد الطائرة كما المسافرين العاديين مع مرافقيه في المقاعد الأولى، كان موعد الإقلاع الساعة التاسعة والربع ليلاً بتوقيت بغداد، إلا أَنَّها تأَخرت قرابة ساعتين!

هل مطارُ دمشق تحت السيطرة؟

هل كان الجنرالُ قاسم سليماني مراقباً في سوريا؟

لماذا لم يستهدفه العدو في لبنان أو سوريا؟

هل يصعب على من لديه حسٌّ أَمني أَن لا يستشعر بوجوده ويتعرف عليه في المطار أو الطائرة؟

***

احتياطات الحاج القائد المهندس:

وضع قلق مذ أزمة السفارة الامريكية، طائرات مسيرة تزمجر بصوتها المخيف، تحوم حول المنزل لمدة ٢٤ ساعة، كأَنَّما تنذرُ بوقوع

خطر عظيم كالموت.

قبل سنة ونصف سمعه جميع الناس عبر اللقاءات المتلفزة ينطق: أَنا إن شاء الله شهيد!

صوته مجلجل بتصريحات علنية ضد العدو، قضى سنوات غضاضِ أعوامه يعشق الله سبحانه وتعالى، يريد لقاء مولاه مضرجاً بدمه، لكن لا يقدم روحه كهدية بسهولة، يقول لمن في المنزل: أغلق ستارة النافذة.

كان عند تحركه يصطحب معه المقربين، في آخر أَيامه كان يتحرَّك بسريَّة، أَيعلمُ باستهدافه في لحظةٍ ما؟

***

مناورة السفارة الأمريكية في بغداد:

يوم ٢٠٢٠/١/٢ الساعة ١٢ ظهراً، أجرى العدو مناورة غريبة، حلقت ثلاث طائرات بوضعية قتالية مسلحة في سماء السفارة، ما هذه المناورة؟

ما أَبعادُها؟

ما سببُ وضعيتها القتالية؟

ما الإيحاءات؟

أليس من الأَجدر أَن يكونَ ردٌّ فعل استباق نظر؟

المعلوم هناك اتفاقياتٌ مبرمةٌ بين الجانب العراقي والأَمريكي

تنصُّ على فتح مجال جويٍّ خُصِّصَ لطائرات الاستطلاع الأَمريكية الخاصة بالمواقع العسكريَّة الموجودة في العراق، نص الاتفاقيَّة مسموح بطائرتين اثنَتين، فما سببُ خرق الأَجواء العراقيَّة بثلاث طائرات؟

يقولُ أَحدُ المُختصين: عند بدأَ تحليق الطائرات الثلاث يعني هناك معلومات عن تواجد الهَدَف توفَّرتْ منذُ الليلة الماضية أو قبلَ ذلك، بمعنى مصدرها من خارج العراق.

وبالنسبة إلى الاستطلاع الالكتروني في الرَّصد والاستمكان متاحٌ للأَمريكان في عموم المنطقة، كسوريا والعراق، فالاستمكان كان في سوريا، رصد التوقيت، فترة تحليق الطائرة.

هل تواجد العدو بالطائرات المسيرة فقط؟

***

طائرة تنفيذ الجريمة:

طائرة استراتيجية، باهظة الكلفة، تجسسيَّة معدة للاغتيالات النوعية، تقنيتها متقدمة وعالية، مداها ثلاثة آلاف كيلومتر، سرعتها ٤٠٠ كيلومتر، قدرة تحليقها لمدة ٤٠ ساعة متواصلة، تستهدف بعد أن تتحقق من الهدف.

تحمل صواريخ رادارية الـ AGM14، تستخدم نظام فاير اندفوركيت، حال وصولها لموقع الهدف أَثناء انطلاق الصاروخ تقوم الطائرة بالمغادرة. يبقى رأس الاستشعار لرادار الصاروخ ويؤمن الاتصال

الالكتروني والصوري مع الهدف حتى يصل ويَرصُد رقمَ العجلةِ، ونوعَها ولونَها.

***

جدول أَعمال الحاج المهندس يوم الحادثة:

يوم ٢٠٢٠/١/٢ كان مرهقاً، ظهرت على ملامحه علاماتُ إعياء وتَعَب وارهَاق، كان مُصاباً بانفلونزا شَديدَة، أَبلغَ مسؤولُ حمايته أَحمدً في السَّاعة الخامسة عصراً سيكونُ موعدُ الاجتماعِ مع بعض قادةِ الحَشد الشعبي من مسؤولي وحدات الإسناد، سأل أَحمد: هل جاء الإخوان؟

ردَّ عليه: نعم... يتواجدونَ في مقر الهيأة.

طلبَ منه قائلاً: بابا ليأتوا هنا أَنا متعبٌ قليلاً، ولا أَستطيع الخروج.

اتصلَ السكرتير أَحمد بأَحدِ القادة: هل جميعُكُم متواجدونَ؟

أَجابهُ: نَعَمْ.

أَبلغه: تفضلوا إلى البيت.

بعد نصف ساعة عُقدَ اجتماعُ العمل إلى الساعة العاشرة مساءً، كان طبيعياً، يُحَدّث القادةَ باسترسال، قالَ لأَبي علي الكوفي (أَحد القادة): يوم غد ألتقي بك إن شاء الله.

انصَرَفَ القادة..

***

تكتم حول زيارة الضَّيف:

دخلَ غرفتَهُ، غَيَّرَ مَلابسَهُ، استعدَّ للخروج من المنزل!

استغربَ (طبيبُهُ) الدكتور علي الخفَّاف من خروجه وقد تأخَّرَ الوقتُ منَ الليلِ، فَوضعُهُ الصحيُّ لا يَسمحُ بذلك.

سأَلَهُ الخَفَّافُ: إلى أَين تذهبُ، الساعة ١١ ليلاً؟

ـ لدَيَّ شُغل، تحتاج شيئاً؟

ذَكَّرَهُ طَبيبُهُ: لَمْ تتناول علاجَكَ!

– سأذهبُ بعضَ الوقتِ وأَعود، هل أَتناولُهُ الآنَ أو عندَ عَودتي.

نَصَحَهُ الخَفَّافُ قائلاً: يا حاج الطقسُ باردٌ، وخروجُكَ غيرُ مناسب، أَجّلْ هذا الخروج.

أَصرَّ الحاج أَبو مهدي على الخروج، طلب منه الطبيبُ مُرافقتَهُ، رفضَ الطلبَ.

حاولَ صرفَ نظرِهِ عنِ الذهابِ، كَلَّمَهُ: لديَّ معكَ حديثٌ خاصٌ حولَ العمل؟

ردَّ عليه الحاج: سأعودُ لكَ بعدَ ساعة، ونتكلَّم.

من عادة أَبي مهدي المهندس عند ركوبه السيارةَ يقولُ لسائقها: توكَّل على الله إلى مكان كذا، ويبلِّغُ مسؤولَ حمايته أَيضاً بالأماكن والمواقع التي ينوي الذهاب إليها، ليستعدَّ ويهيّئَ عناصرَ الحمايةِ لمرافقته بأَسرعِ وقت.

لم يَعبأ بالحمايات كثيراً، ويَحدثُ أَحياناً أَن يقودَ العجلةَ بمفرده

قائلاً للمقربين: لديَّ عملٌ، لا أريدُ أَن يذهبَ معي أَحدٌ.

لكنَّ الغريبَ هذه المرَّة أَنَّه لم يُخبِر أَحمدَ الذي اعتادَ أَن يبلغهُ بزياراتِ الحاج قاسم، ليجري بعضَ الترتيبات من تواجدِ الحمايات في المنزل!

أَخبرَ أَحمدَ: سأَذهبُ إلى محمَّد رضا (مدير تشريفات الحشد الشعبي) وأَعودُ إليك.

قبل ساعة تقريباً اتّصلَ أَحدُ المسؤولين بأَحمد يبلغه أَنَّ أَحد الضّباط يرومُ الاتصال به لأَمرٍ هامٍّ، اتَّصلَ بالضابط على الفور، أَبلغَهُ الضابطُ: ستكونُ ضربةً أَمريكيَّةً الساعة ١٢ ليلاً بالقرب منَ الخضراء، ولا نعلمُ الهدفَ.

قامَ السكرتيرُ أَحمد بالاتصال بضابطٍ أَمنيٍّ آخر للتأكّد من صحة المعلومة، أَكَّدها دون معرفة المكان المستهدف.

عادَ الحاج واصطحبَ أَحمدَ، ركبَا سيارةً نوع برادو بيضاء، جلسَ القائدُ خلفَ السائق وبجواره مسؤول حمايته.

صَكَّ أَحمدُ مسامعَ الحاج بالخبر، سأَلَهُ الحاجُ: يا بويه منو؟

- أخبره بالمصدر.

تلعثم أحمد وهو يقرأ رسالة وصلته للتو على هاتفه، مفادها: تحرَّك رتلٌ أمريكي من المطار ودخلَ السفارة.

- أنظر يا حاج هذه الرسالة.

لعله أجابه مع نفسه: أنتظر ضيفاً، لدي برنامج؟

توقفت السيارة في الطريق الرئيسي بعد ساحة عباس بن فرناس بقليل قبل مبنى المطار، أمر الحاج سكرتيره بالانطلاق بالسيارة البيضاء وانتظاره بالطريق العائد من المطار قرب الساحة.

ترجل المهندس وركب سيارة سوداء يقودها محمد رضا الجابري..

***

هبوط الطائرة في مطار بغداد:

الساعة ١٢ ليلاً وصلت العجلتانِ السَّوداوان، تقلُّ الأولى الحاج المهندس عند نقطة تفتيش المطار الرسمية، سارت العجلتانِ داخل المطار، ودخلتا من البوابة المؤدية إلى مكان هبوط الطائرة وتوقّفتا ١٥ دقيقة.

الساعة ١٢:٢٦ هبطت الطائرة ذات إيرباص إيه ٣٢٠التابعة لشركة أَجنحة الشام والقادمة من دمشق على متنها مسافرو الرحلة ٥٠١، توقفت عند صالة سامراء B23.

ما أن استقرّت الطائرة تحركت عجلات صغيرة مسرعة تابعة للمطار باتجاهات مختلفة بالقرب من الطائرة، ما هذه العجلات؟

توجَّه موظفا تشريفات الحشد في المطار المجاهدان حسن مقاومة ومحمد الشيباني لاستقبال قادة النصر من صالة المطار في أثناء تحرك

العجلتين نحو سُلَّم نزول المسافرين ووقفتا باتجاهين متعاكسين، تم استقبال الضيوف الخمس الأول فيهم متخفي الملامح يرتدي كمام طبي وقبعة سوداء هو الحاج قاسم سليماني، بعد عشرة دقائق غادرت السيارتان عبر الطريق ذاته.

يقود العجلة الأولى محمد الشيباني مع محمد رضا الجابري والقائد أبو مهدي والجنرال قاسم سليماني.

أما الثانية فيقودها علي حيدر وفيها المرافقون الإيرانيون، وحسن هادي.

اجتازتا البوابة الساعة ١٢:٣١ متجهتين نحو الطريق الرئيسي، الساعة ١٢:٣٧ سمعتْ بغدادُ صوتَ الانفجارات الثلاثة، قبلَ أَنْ يسمعَ العالمُ خبراً يفوقُهُ دويّاً.

وقبلَ أن ينبلجَ الفجرُ، اختلطتْ الأشلاءُ المضمَّخةُ بالدّماءِ المُتناثرةِ، اتَّحَدَت الأَرواحُ وعَرَجَتْ نحوَ السَّماء...

***

ترجيح العملية الآثمة ومنفذ الجريمة:

سؤال كطنين النَّحلة يخرق أذني ودويُّهُ في رأسي، هل كانوا يستهدفون الحاج قاسم سليماني لوحده؟

- كلا، هو متاح لهم ويتجوَّلُ في إيران وسوريا ولبنان.

إذا كان المقصود الجنرال سليماني لوحده، لماذا لم يستهدفوه في

سوريا؟

- سيطرة العدو في سوريا أكثر من سيطرتهم في العراق، لكن يبدو خوفهم من التجاوز على الاستراتيجية الروسية منعهم من ذلك، كما أَنَّ قوة روسيا من خلال الرصد والاستمكان وإمكانياتها العالية بالجهد التقني الالكتروني ممكن أن يقدموا دعمهم المعلومات كتحذير من وقع جريمة.

هل كان استهداف الحاج قاسم والحاج المهندس معاً، خوفاً من انتقام أَحدهما للآخر من العدو؟

- ربما يثأرُ أحدهما للآخر من العدو إن استهدفَ أحدهما بمفرده، لكن هذا الانتقام بحكمة وتروي لا بمفهوم سطحي، إنَّما القضية أَكبر من ذلك، فهذانِ القائدانِ يمتلكان من الخبرة والتجربة والتصدي لأفكار دولة عظمى، وضربِ مشاريعهم الاستراتيجية التوسعيَّة سياسياً وعسكرياً، فاستهدافهما معا باتَ ضرورةً ملحةً بالنسبة للولايات المتحدة وحلفائها، فالشهيدانِ يشكّلانِ أَكبرَ خطرٍ يهدّدُ مصالح أمريكا برُمَّتها وإسرائيل بأطماعها.

جريمة الاغتيال هل خُطِطَّ لها مسبقاً، أو عملية طارئة؟

- عملية مبرمجة ومخطّط لها بلحاظ الإشارات التي سبقت الجريمة، هذا غير استثمارهم البعد السياسي وحالة التوتر، أنَّهم يمسكون الجو في العراق، ولديهم إمكانيات الرصد والاستمكان من حيث الوقت،

بمعنى نُفِّذت الجريمة في ضربة ليلية وهذا يتيح لهم المراقبة الدقيقة، فنشاط حركة العجلات معدومٌ، وإن كان هناك تحرّكٌ فهو مكشوف بالنسبة إليهم، مع وجود مؤشّرات أخرى تدل على التخطيط، فمثلاً: بالطبع أن يكون لهم عناصر بشرية كعملاء على الأرض، فمنهم من أخذ عينات الشهداء في سيارات بدون أرقام، كما تحركت عشرات العجلات بعد هبوط الطائرة وبسرعة شديدة يدلّ على وجود عملائهم والتخطيط، وأيضاً ضرب ليزر على العجلتين السوداويين أثناء انطلاقها يدل على وجود عميل في برج المراقبة، كما إخبار قوات الحشد الشعبي القادمة للحادث بأَنَّه حادث سير عادي وإيقافهم اجباراً عامل آخر على التخطيط ووجود العملاء.

أَمّا بالنسبة لمن تبنّى تنفيذ هذه الجريمة، فلا يخفى على أَحد بعد العملية مباشرة أعلنت الإدارة الأمريكية أَنَّها نفَّذت العملية بإصرار وترصد منتهكين السيادة العراقية بتحدٍّ صارخ، ونشرت صور احترافية للجريمة على موقع فوكس نيوز الداعم للرئيس ترامب.

الفصل السادس

أنموذج من محبة الناس للشهيد القائد

شاب من إخواننا السنة:

التقى الحاج أبو مهدي، أدخل يده لجيب البنطرون أخرج موبايله، برهن حبه!

تبسم الحاج، تصفح الفيديوهات والصور، الشاب يعدد له المواقع والمعركة الملتقطة فيها.

عانقه، قبّله، حرك لسانه: أنا أيضاً أحبّكم جميعاً، لكن ليس لدي صوركم كما أنت.

***

امرأة موصلية:

لا تعرف الحشد قبل مجيء أهل اللحى!

علَّمها أبوها أنَّ الشيعة عبدة القبور والأوثان، يردّد عليها: فرس مجوس.

جاءها إلى المنزل شخص عربي وبرفقته آخر أسيوي شمَّت رائحته النتنة، ارتعبت، تقدَّموا على أختها وزوجة أخيها خلعوا حجابهما، كأنهم يتفحصون جواري في سوق النخاسة.

يفعلون ذلك أمام أبيها الذي يتفاخر بأصوله العربية السنية، اقترب موعد سوقهن كالسبايا إلى داعش.

قبل انبلاج الفجر دوى الرصاص خرق أذانهن، هرب أهل اللحى كالفئران. بعد هنيأة تعالت الأصوات في الشارع: يا علي يا زهراء، لمحنا رايات خضراء خُطَّ عليها من خيوط الفجر يا أم البنين.. يا أبا الفضل.

استنشقن روائح كرائحة القداح والياسمين تطفح من أجساد شباب سمر السحنات بينهم رجل وقور صاحب شيبة، وقف بباب المنزل نادى أبيها: نحن خدامكم.. أخوتكم شيعة العراق، واستدار بوجهه عن زوجة أخيها غير المحجبة.

ردَّ عليه أبوها: تفضل.

طلب منه بلطف: أريد أن أصلي فقط.

رأته الموصلية رجلا وكأنَّ الملائكة تصلي خلفه، طرق مسامعها في دعائه: يا ربّ، انصرنا بحق الزهراء.

أتمَّ صلاته، قبل خروجه أسمعهم: لقد ولى زمن البأس، وأنتم أحرار أحرار بفضل الله.

ذهلوا، يتساءلون في عقولهم هل فعلاً فك قيدنا، رجال آمنوا برب الزهراء، لم تغب شمس ذلك اليوم إلا ومدينتنا حرة.

***

وصية شهيد:

محمد شقيقه الأكبر الوحيد لبى نداء الفتوى، استشهد في شمال صلاح الدين بعد مرور سنة من التحاقه بالحشد الشعبي، هل ترك وصية لأخيه مسلم؟

بعمر ستة وعشرين عاماً يغبط أخاه يتمنّى اصطفاءه بالشهادة، حجبته الوصية.

صباحاً ومساءً يقرأ ما أوصاه الشهيد، نقش نصوصها على جدار ذاكرته، منذ أول قراءة يتأمل في نهايتها: أخي العزيز اجعل من أبي مهدي المهندس قدوةً لك، ومثالاً تحذو حذوه.

كلّما رأى القائد في التلفاز يرفُّ قلبه كجناحي طير، يودُّ لقاءه والوصول إليه!

يتمعّن في وجهه الذي يتلألأ ببياض شعر رأسه كشمس مشرقة، يتأسّف بحسرات لم يذهب مع أخيه إلى السواتر حتى يراه.

يخاطب نفسه: متى ألتقيك يا حاج جمال الشيبة؟

في شتاء وصيف البصرة لمدة سنة ونصف يحاول جاهداً معرفة أخباره، يبحث بأيّة وسيلة لعلَّه يحظى باللقاء.

كعادته استيقظ في الصباح الباكر، رتَّب سريره، يعود به شريط ذكرياته لبنود مقدمة الوصية، رعاية أبويه، كل صباح يجثو بينهما بركبتيه، يقبّلهما يلقي التحية عليهما.

ألقت والدته قبلةً على جبينه، لمحت فرحاً على محياه، همست

في أذنه اليمنى، أراك مستبشراً!

- لا أعلم يا أمي، لكن لا تبخلي عليَّ بالدعاء.

حرَّكت شفتيها بابتسامة خفيفة، عرضت عليه طلبها، أخبرته أنَّ رفضه يُحزنها!

ردَّ عليها بصوت حنين: أمي، وعدت أخي، أَلا أرفض لكِ طلباً.

سرَّ قلبها، ردّت عليه قائلة: بوركتَ يا ولدي.

وأردفت: تعلم في الليلة الماضية دعتني جارتنا أم علي لحضور مجلس عزاء أم البنين عليها السلام.

- نعم، ما المشكلة؟

قالت: عزيزي ابنتها صفاء عفيفة ومتدينة وخلوقة، أمنيتي خطبتها لك.

- أفكّر بالأمر.

مرَّ أسبوع سار مسلم مطأطأ الرأس باتجاه والدته، رنَّ مسامعها: أماه موافق.

ابتهجت وأسمعته: بعد صلاة العشاء سأذهب لخطوبتها.

طرقت جرس بيت جارتها أم علي، رحَّبت بأمّ محمد، وتبادلا أجمل عبارات السلام.

بعد هنيأة.. خطبت ابنتها صفاء.

تفاجأت أم علي قائلة لها: إن شاء الله خير، أحتاج وقتاً لمعرفة قبول

ابنتي وموافقة والدها.

انتاب مسلم القلق، تخيل رفضه بسبب إهماله إكمال دراسته، دخلت والدته واستقبلها بسؤال عجول ونظر بسطحية إلى الأمور: أمي هل رفضتني؟

استغربت قلق ابنها، أجابته: اطمئن ولدي، بدت على ملامح أمها الفرح والسرور، وطلبت مني وقتاً لأخذ الموافقة.

حلَّ عليه التعب وأصابه نعاس كهارب من مفاجأة، نطق لسانه: سأخلد إلى النوم، تصبحين على خير أمي.

مضى أكثر من ثمانية أيام، يجلس بجوار والدته، رنَّ جوالها، كلَّمتها أم علي وبعد استهلال الترحيب: متى تحبّون تتفضلون يا أم محمد بمشروع الخطوبة أهلاً ومرحباً بكم.

قبل شهر من شهادة القائد المهندس عقد قرانهما، يزور زوجته في منزل أبيها، ابتعدا عن حديث التعارف وبناء أسرتهما، يتبادلان الحديث عن الإمام صاحب الزمان عليه السلام.

بعد انبلاج الفجر، سمع خبر شهادة أبي مهدي المهندس، رمى الهاتف من يده، هرول لفتح التلفاز وسماع الحقيقة.

أكَّدت وسائل الإعلام الخبر، خيَّم عليه الحزن، سالت دموعه على خديه كأنَّه يفقد أحد أفراد أسرته، سار إلى بيت أبي زوجته، استقبله أبو علي بملامح غامرة بالفرح والسرور!

سلم على عمِّه أبي علي، سأله: يا عم أراك مسروراً؟

- نعم ولدي هذا اليوم قتل من كان يقتل الشباب والفقراء في ساحات التظاهر!

ردَّ عليه بسؤال: مَنْ تقصد؟

ـ عجباً يا مسلم، ألم تسمع خبر موت المهندس، فاليوم سينعم العراق بقتله!

صمت لا يستطيع نقاشه، معارضة رأيه يؤدي إلى غضبه وفسخ عقد قرانهما، حدث نفسه: وما ذنب زوجتي البريئة التي تعلقت بي.

استأذن منه ومن زوجته بالمغادرة، قائلا: يا عم سأزوركم مساءً.

صلَّى العشاء، تناول وجبة الطعام، ذهب لشريكة حياة المستقبل، فتحت الباب لزوجها، لاحظ حزنها المخفي بابتسامتها البريئة، أدخلته ولسانها يلهج بأجمل عبارات الترحيب، همس في أذنها اليمنى: صفاء أود التحدث معك على انفراد!

تقربت من أبيها قائلة: أبي الغالي أتسمح لي أتكلم مع زوجي لوحدنا.

- نعم ابنتي بكل سرور هو الآن زوجك، نهض ومسك الباب لغلقه.

ناداه مسلم: لا يا عم أرجوك دعه مفتوح.

سأله: لما يا ولدي؟

أجابه: لا أريد أرباكم، أنا أبنكم الصغير.

نظر لزوجته همس في أذنها: هل ممكن أن تجيبيني على سؤالي بكل صدق.

- تفضل أقلقتني يا مسلم.

سألها: أتعلمين من استشهد هذا اليوم؟

طأطأت رأسها، ذرفت دموعها على خديها، ردَّت بصوت حزين: أجل، فُجِعْتُ بخبر استشهاد جمال الشيبة.

تعجَّبَ من قولها، عكس فرح وسرور والدها الذي كأنَّه قد ولد له مولود جديد.

عاد عليها القول: لا تضجري مني.

- تفضل عزيزي.

- عمي أَبو علي!

- ما به؟

- ابتسامته وحديثه يبغض المهندس، ما هو موقف العائلة؟

خفضت رأسها قائلة: يا عزيزي، التمس لوالدي العذر، يشتبه عليه الحق عن الباطل، تماشى مع ما جرى من الإحداث، حتماً سأجد طريقة لإقناعه.

- لا أظنُّ ذلك، والدك متشدّد.

- لا عليك، لي مكانة بقلبه ويقدمني على أخواني، سأقنعه.

- سأترك الأمر لكِ، لعلك تنجحين.

- إن شاء الله خير.

أتعلمين لا أعلم كيف هذا اليوم مسكت لساني، ابتعدت عن نقاشه وكان بودّي الدفاع عن صاحب الشيبة، إلا أني تذكرتك، فقرّرت سؤالك عن رأيك محبة أم مبغضة؟

- وأنا فكرت باختبارك اليوم هل تعتز بالشهيد أو لا.

بعد ثلاثة أيام اتصل بشريكة عمره، رحبت وسلمت وتبادلا السلام، سألها: هل أقنعتي والدك؟

- نعم، والدي تأثر بأخلاق (أحمد مهنه) الذي التقاه في المظاهرات وتمنى أن يحمل أخوتي أخلاقه.

- كيف أقنعتيه بأحمد؟

- أحمد يحب أبا مهدي كثيراً، وأنا قمت بفتح بعض المقاطع لأبي، وشاهد كيف قام أحمد يوصي بالسيد السيستاني والحشد الشعبي، ويقول: أبو مهدي قدوتي، عند معرفة والدي الحقيقة تساقطت دموعه كأنه طفل صغير يبكي على أمه، يا عزيزي والدي حنون جداً.

تكلّما قليلاً عن علاقتهما، تحسَّست مكانتها الكبيرة في قلب مسلم، نطقت بصوتها الرخيم: سررت بمكانتي بقلبك الحنون.

ولكنها فاجأته بطلب مبهم، كأنها هددته إذا لم يوافق عليه سينتهي بينهما كل شيء!

اندهش، وقال: ما هو هذا الشيء الخطير؟

- سأخبرك به عند زيارتك لي.

- أَقلقتني صفاء، أستطيع زيارتك هذا اليوم؟

- أهلاً ومرحباً في أي وقت.

غابت الشمس، انطلق لبيت عمه، طرق الباب، استقبلته صفاء مبادرة بابتسامة وترحيبها الحار.

قال بتوتر: أخبريني ما هو الشيء الذي ينهي علاقتنا؟

- أخبرك بعد مجيء والدي ليكون شاهداً على الكلام.

ظلَّ يترقب قدوم عمه بلهفه، جلبت الشاي تناولاه سوية، أحدهما ينظر إلى الآخر، يسأل نفسه: ما هو هذا الطلب؟

جاء أبو علي رحَّب بمسلم، جلس معهم، لهج لسانه: يا عم، أنتظر حضورك، ابنتك لديها طلب لا تفصح عنه إلا بوجودك.

ردَّ عليه: لا أعلم بذلك.

نظر لابنته، خاطبها: ما هو طلبك حبيبتي؟

- حفل زفافنا عند قبر أبي مهدي المهندس، أريده شاهداً بعد الله بصدق نوايانا ومحبته في قلوبنا.

ظهرت على ملامح زوجها السعادة، سارع بالقول: يا سبحان الله، أردت طلب ذلك منكِ.

- الحمد لله الذي يعلم بنوايانا وجمعني بك، لدي طلب ثانٍ!

نظر بعينيها، نطق: سأحزره.

- ما هو؟

- إذا رزقنا الله ولد نسميه جمال؟

- أحسنت عزيزي.

اقترب موعد الزفاف بعد ثلاثة أشهر، تحققت أمنيتهما، وقفا على القبر الشريف، تعانقت كفاهما، استقرت على الضريح، ردَّدا: سنبقى نحبك ونخلص لك إلى عصر الظهور إن بقينا أحياء.

رزقهما الخالق بمولود اسمه جمال وكنيته أبو مهدي، ذهبا معه لزيارة القبر الشريف، تعانقت الأكفّ الثلاثة ونزلت تقسم بالولاء للعترة الطاهرة وتعلّق قلوبهم بالشهداء الصالحين.

***

خطوبة أيوب من الحلة:

سمعت حكاية أَيوب أحمد جاسم، أَدهشني إصراره، لا أعلم هل عفة الفتاة وإيمانها كانتا حافزة على ذلك؟

لعلَّ خفقات قلبه تحرَّكت مع إلحاح أمِّه عليه بالزواج، أَهو اشتياقها المستمر لابنها المولود ١٩٩٩المشغول بعمله في الحشد الشعبي، أتريد شمّ رائحته دائماً بحفيد من صلبه؟

قرَّر خطبة فتاة مؤمنة من مدينته الحلة، فاتح أُمَّه، طلب منها الذهاب إليهم، رفضوه.

شهور يرسل وجهاء تلو الوجهاء ومعارف مؤثرين، دون جدوى

كان والدها يقابلهم بالرفض!

سمعتُ الفتاة قالت عبر التلفاز: كانت أمنيتي الزواج من عسكري أو مجاهد.

يا ترى أيعلم أيوب الهاشمي بأمنيتها؟

عاد يخبر والدته بالعودة وتكرار طلبه، التحق إلى تشكيله في العمليات، بعد إشراقة حمرة الشمس وصعود توهّجها اتصلت أمه قائلة: ابني والد الفتاة رافض.

أصابته كآبة ظهرت على ملامحه، انتبه الحاج المهندس، ناداه فسأله عن سبب انزعاجه؟

تلعثم، همس بإذن الحاج أبي مهدي: والد الفتاة رافض خطبتي من ابنته!

مسك القائد الحاج جواله، اتصل بوالد الفتاة، سلَّم عليه.

رد السلام بهدوء، صمت يسترجع معرفة الصوت، ساورته الشكوك بمعرفته.

سأله الحاج: هل تعرفني؟

- كلا.

عرَّفه بنفسه، فابتهج قلبه، وانطلق لسانه مرحباً.

فاجأه أبو مهدي قائلاً: إذا تريد والد أيوب، فأنا والده وهو أحد أبنائي، وأطلب يد ابنتك له.

انطلق لسانه مسروراً: خذها بجلبابها، ولا أريد منه شيئاً.

دعا الحاج لوالد الفتاة بحفظ الله، وأخبره بزيارته لداره قريباً إن شاء الله.

سمعت الفتاة، لا تعرف من أبو مهدي المهندس، سر قلبها، علمت بمكانته، افتخرت بخطوبتها.

صباح ذلك اليوم اتّصلت والدة أيوب، أبلغته بالموافقة.

تمت الخطوبة وعقد القران، استمرّت سنة ونصف، تمنّيا حضور الحاج زفافهما.

التقى القائد الحاج بأيوب، سأله: ما أخبار زواجك؟

وأردف بعرضه المساعدة، وأسمعه: حاج أنت أول الحضور.

مرَّت بضعة أيام، صدم المخطوبين بنبأ حادثة شهادة الحاج أبو مهدي المهندس على طريق مطار بغداد.

خيَّم عليهما الحزن، فتر الاتّصال بينهما، مرت أَيام..

خلد أيوب إلى النوم إحدى الليالي، طافت روحه بعالم الرؤيا، كأنَّ الحاج الشهيد زاره، سأله: هل تزوجت أم لا زلت بدون ذلك؟

استيقظ فجرا، استذكر الرؤيا، تألم، قرر الزواج.

اصطحب زوجته إلى كربلاء المقدسة، زارا ضريح الإمام الحسين عليه السلام وحامل لوائه أبي الفضل العباس.

هل يعلم أيوب أن زوجته تخاف المقابر؟

أَأَخبرها أين سيذهبان بعد ذلك؟

أمرها أَن ترتدي زي العرس، رنَّ مسامعها بقوله: سنغادر إلى النجف الأشرف.

وصلا الساعة ١٢:٣٠ ليلاً، فجأة وجدت نفسها في مقبرة كأَنَّها روضة من رياض الجنة، قرأت على الضريح الشهيد الحاج أَبو مهدي المهندس.

همست بأذن زوجها: أَيوب أَول مرة أَشعر براحة نفسية هنا.

نذرت للسيدة العقيلة زينب عليها السلام إن حملت بولد أن تسمِّيه على اسم أبي مهدي المهندس.

بعد تسعة شهور أنجبت مولودها.

ذهب زوجها لموظف الشهادات، سأله موظف المشفى: ما اسم المولود؟

- اسمه جمال المهندس أَيوب.

مضت فترة على الوليد، شدَّ عوده قليلاً، اصطحباه إلى مقبرة الشهيد القائد.

***

قصة من الواقع (چنك مهموم بويه)

تحسس العجز، ابنته مريضة، لا مال يدفعه لعملية وعلاج، يعتصر قلبه كل يوم، قرر رفع الطلب إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

تركها خلفه بالمنزل، خرج من مدينة الناصرية متّجهاً إلى ضريح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقف في ركن الضريح، أطلق عنان لسانه جهرا: يا أبا الحسن أنت أبي، سال دمعه بحرقة أثناء كلامه...

يرى بطرف عينيه رجلاً ذا شيبة يتّقد نوره، لا يعرفه مسبقاً، ولم يره من قبل، تخطى الزوار ووصل بجانبه، كلَّمه باللغة الدارجة: (چنك مهموم بويه شعندك؟).

ردَّ عليه: حجي بنتي غفران مريضة تحتاج إلى عملية، وأنا لا أمتلك حتى شراء طعام المنزل.

عانقه، قبَّله في جبينه، نظر لمرافقه وطلب منه أخذ رقم أبي غفران، قَسَمَ له وهمس في أذنه: يوم غد سأتصل بك.

سأل نفسه: هل أرسله لي أمير المؤمنين؟

وأردف: متأكد منك يا سيدي لا تردني خائباً مكسورَ الخاطر.

عاد إلى داره ينتظر الاتصال، رنَّ جواله وأبلغ: الآن أستأجر عجلة واقصد بغداد أنت والمريضة. ودعنا نكلم السائق!

أخبروه لا تأخذ منه أجرة، أجرتك عندنا.

بعد ثلاث ساعات التقى بمرافق الرجل، اصطحبه للمنزل، تناول وجبة الغداء، أقبل عليه صاحبه قائلاً: حضروا أنفسكم، جُهِّزَتْ لكم الفيزا وتذاكر الطيران، غداً سفركم إلى إيران لإكمال الفحوصات وإجراء العملية في طهران، رفع كفَّه لجيبه وأخرج مبلغاً من المال، نطق: هذا

مصروفكم.

اعتقد ذلك خيالاً، جابت أفكاره مجموعة أسئلة:

مَنْ هذا الرجل؟

هل من المعقول أرسله لي أمير المؤمنين عليه السلام؟

أمعقول هو ولي من أَولياء الله الصالحين يريد قضاء حاجتي ويختفي؟

بحمد الله تمت العملية بنجاح وعاد إلى موطنه، زاره الرجل نفسه دون أن يُعرِّفَ بنفسه، قبل خروجه أهداه مبلغاً من المال قائلاً: هذا للبنت.

وأردف بسؤاله: بيتك ملك أو إيجار؟

- حاج والله إيجار.

أدخل يده لجيبه، سلمه إيجار لمدة سنة كاملة.

يوم ٢٠٢٠/١/٣ كان أبو غفران يشاهد أخبار التلفاز، تفاجأ باستشهاده، سأل ما اسم هذا الرجل؟

قيل له: جمال وهو أبو مهدي المهندس، وعلم باستشهاد من تواصل معه (السيد محمد رضا الجابري).

عاهد نفسه في كل جمعة أن يأخذ عائلته ويزور قبره.

الملاحق

الخاصة بالشهيد القائد الحاج أبو مهدي المهندس

رسالته الأولى إلى المرجع الأعلى سماحة أية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني:

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي سماحة أية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (روحي لك الفداء)

[لبيك لبيك لبيك يا داعي الحق]

نعاهدكم سيدنا المفدى على حمل السلاح و الجهاد و المشاركة في الزحف الجهادي الحسيني المقدس بأرواحنا و بكل ما نملك من أجل وقف هذا الغزو اليزيدي التكفيري البعثي الجائر ، من أجل الدفاع عن مقدساتنا و عن حرم أئمتنا علي و الحسين و الكاظم و الجواد و الهادي و العسكري و أبي الفضل العباس عليهم أفضل الصلاة و السلام ، و من أجل الدفاع عن أعراضنا ، عن عراقنا ، و عن جميع المظلومين .

لقد لبى ندائكم آلاف المجاهدين من أبنائكم من ذوي الخبرة بفنون القتال من الذين عرفتهم سوح الوغى ضد الظالمين و البعثيين و التكفيريين ، و قد إنخرط هؤلاء المجاهدون اليوم في جبهات الحق ضد الباطل و المشاركة في إدارة و تنظيم و قيادة هذا الموج الهادر من المجاهدين الزاحفين لسوح الجهاد تلبية و طاعة لفتواكم .، داعمين و مرابطين و معاضدين لقواتنا المسلحة البطلة التي تواجه ببسالة و في أكثر من جبهة هذا العدو الظالم الغاشم .

و أطمئنوا ياسيدي بأننا بالمرصاد لهم و لن يمروا إلاّ على أجسادنا .

[و ما النصر إلاّ من الله العزيز الحكيم]

أبو مهدي المهندس

١٥ شعبان ١٤٣٥ هجري قمري

وثيقة من وثائق تحقيقات حادثة الشهادة في المطار:

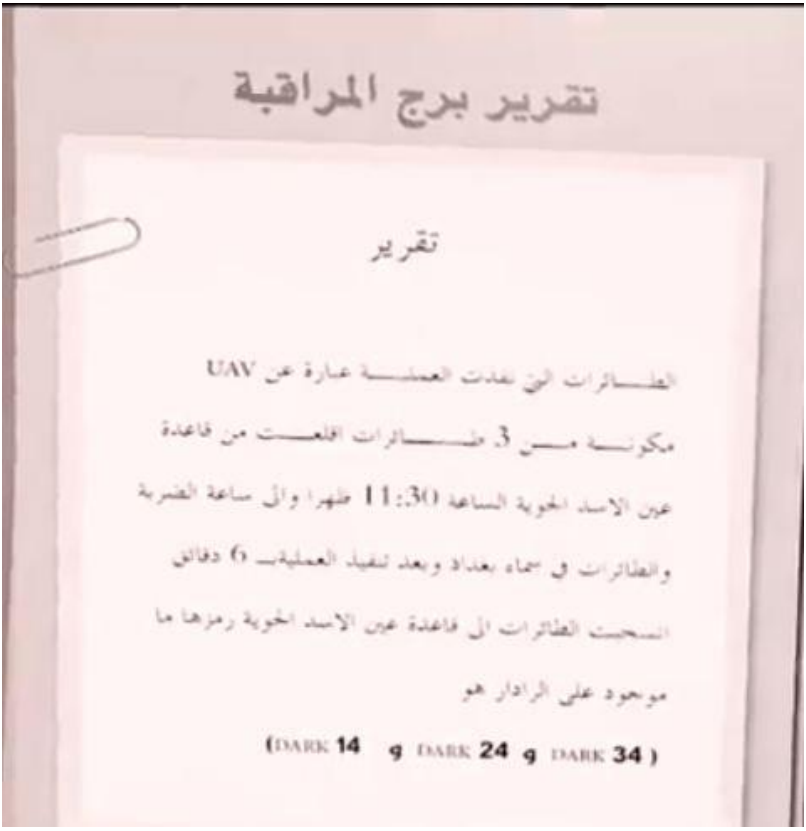

تقرير برج المراقبة

تقرير

الطـــائرات التي نفذت العمليـــة عبارة عن UAV

مكونـــة مـــن 3 طـــائرات اقلعـــت من قاعدة

عين الاسد الجوية الساعة 11:30 ظهرا وال ساعة الضربة

والطائرات في سماء بغداد وبعد تنفيذ العمليةبـ 6 دقائق

انسحبت الطائرات الى قاعدة عين الاسد الجوية رمزها ما

موجود على الرادار هو

(DARK 14 و DARK 24 و DARK 34)

رسالته إلى الشهداء في الحشد الشعبي

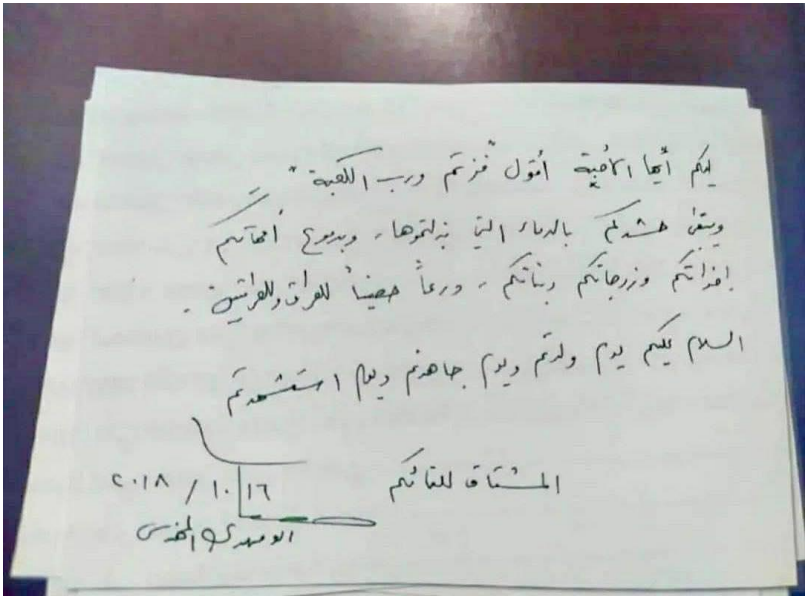

شهادة وفاة الشهيد القائد

شهادة وفاة

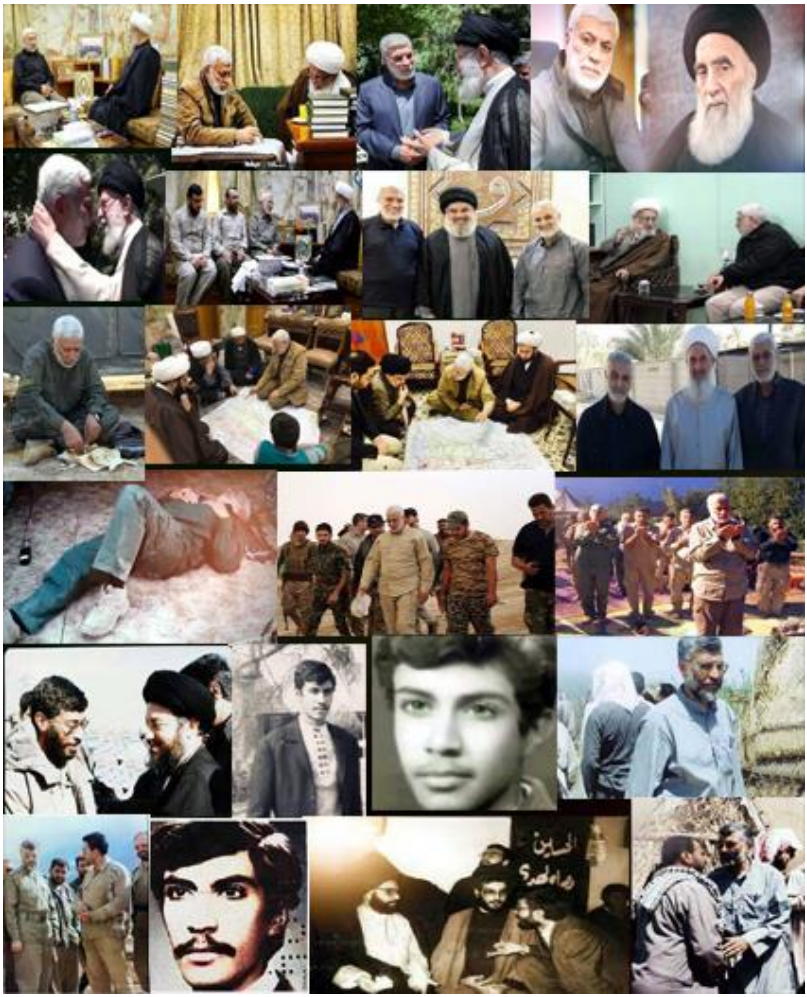

الفهرست

الإهداء	٢
المقدمة	٣
هكذا عرفته	٥
الفصل الأول	٩ـ٢٦
الفصل الثاني	٢٧ـ٥٦
الفصل الثالث	٥٧ـ٦٢
الفصل الرابع	٦٣ـ٧٦
الفصل الخامس	٧٧ـ٨٧
الفصل السادس	٨٨ـ٩٨
الملاحق	٩٩
الفهرست	١٠٣

ظهر الغلاف (الخلاصة)

شهادته كالماء رقراقاً في ساقية الزمن ترنّ ذكراها، تحكي قصصاً تضرب ظلام أيامنا، كسنا برق يضيء لنا الطريق، وتعكس صفحتها الصافية تارة أخرى حقيقة الوجود، لترشدنا كيف نمضي.